Ire. Année, No. 22

Lundi 4-12-1933

بدل الاشتراك عن سنة
صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

العدد الثانى والعشرون « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٥٢ — ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ السنة الأولى

فهرس العــــدد

صفحة

حجــاج ودوس . . . .

حلّقا فى السماء الغائمة البعيدة ! والأمل الطلق يبسم لهما خلال السحاب ، والمستقبل الوضاء يشرق عليهما بين الضباب ، والاستقبال المنتظر ينثر الاحلام على جناحى الطائرة ! فالنسر الحديدى يزف فى الهواء الندىّ زفيف الكوكب ، والطيار الشاب وصاحبه يسبقانه بالخيال العجيب الى ارض الوطن ، فيريان البشر الفخور يفيض على جنبات الوادى ، والمجد الاثيل ينبعث لهفان من غيابات الماضى ، والشعب النبيل يتقاطر مزهوا الى المطار الحاشد ، والاعلام الخُضْر تخفق بالتحيات خفوق القلوب بالاكبار والحب ، والطوائر العشر يهبطن على الثرى الحبيب هبوط المَخِيلة والعُجْب ، واللقاء الحماسى الهاتف يغمر السرب الأول بالترحاب والاعجاب والشكر ، وأكاليل القُبَل والغار تتوج الجباه المُجَلّية فى ميدان البطولة والنصر . . . !

كل أولئك كان يتمثله فؤاد ، ويتخيله شهدى . حين غفا الحظ تلك الغفوة المشئومة فاذا بالقَدر الراصد يثب من بين اطباق الضباب فيصرع الأمل الناهض ، ويرد النسر الطائر حطام حريق ، والمستقبل الزاهر ساعة هول وضيق ، والاستقبال الباهر مناحة أمة ، وأكاليل الغار اكاليل نعش !!

*
* *

اللهم لا رادَّ لقضائك، ولا معقب لحكمك! جعلت الشهادة روح الجهاد، والتضحية طريق المجد، والفداء عبادة المثل الأعلى! ومصر ذات التاريخ الأزلي والتراث الخالد، قد كتبت هذا التاريخ بدماء شهدائها، وأثَّلت هذا التراث بجهاد ابنائها، وعرفت السماء قبل ان يعرف غيرها الأرض، فلا يشتد جزعها لهذا الحكم، ولا يرفَضُّ صبرها لهذا البلاء؛ وما حجاجٌ ودوس الاشهيدان كتبت لهما السعادة ان يكونا فى اول سجل من نوع جديد

ان شهداءنا الابرار الذين قضوا فى سبيل الوطن والحرية والعلم والطيران هم القوة الملهمة للشباب العامل، والحجة المفحمة على النشء الخامل، والدلالة البينة على ان مصر لا تزال تعرف كيف تموت لتحيا، وكيف تشقى لتسعد! وان الذين شهدوا ابناءنا يوم جِنازة الشهيدين يتسعرون بالحماسة، ويتفجرون بالوطنية، ويهتفون بالتضحية، ليوقنون ان هذه النفوس الحرة التى تظاهرت على كَبْتها واذلالها شتى العوامل تأبى ان تتكشف للخطوب الا عن جوهر خالص وفطرة نقية

***

ان الوادى يوم ضم الى احشائه بقايا ولديه الصريعين قد قوى فى صدره نبض الحياة، ودب فى جسمه دبيب الفتوة، لان الوطن تميته الدموع وتحييه الدماء! فكلما كثرت القرابين على مذبحه، وفاضت النفوس على ثراه، ازداد قداسة واتقد حماسة واشتد قوة، فتقريب الفداء المختار نكبة لاسرته، وحياة لأمته، ومجد لوطنه!

***

التضحية بالنفس او بالمال هى الوطنية الصادقة والزعامة الحق، لانها أثر الايمان الصحيح، ودليل الجهاد المخلص. ومتى بلغت النفوس حد الايثار أعْيَتْ على الظلم، ونبَتْ على المذلة، فلا تجد حاكما يجور، ولا عالما يداجي، ولا سائسا يخاتل، ولا قائدا يَهِن، ولا غنياً يشح، ولا وطنا يشقى

فهل لسادتنا وكبرائنا أن يكفكفوا شِرَّةَ الحرص فى نفوسهم بالتضحية؟ ومعاذ الله أن أقصد التضحية بالدم فليست من طبع الكهولة، انما أقصد التضحية بالتهالك على الرآسة، والتهافت على المنصب، والتكالب على المال، ليصح الخلق المريض، ويأتلف الأمر الشتيت، ويعود الجائر الى سواء السبيل

***

بَرَّد الله بالرضوان ثراكما ياشهيدى الواجب! لقد هززتما للمعالى هِمما توشك أن تهمد، وذكَّرتما بالمجد نفوسا تكاد أن تنسى، وأضفتم اسم مصر الى أسماء الامم التى روت بدمائها أصول الخير المشترك! ولئن كان مصرعكما عثرة أليمة فى أول الطريق الجديد، فانه حرىٌّ ان يسدد خطانا فيه، ويُظهر قوانا عليه، بحسن الاقتداء بالبطولة، وصدق الاعتبار بالخطأ: وماما من رجالك من احياك، ولا ذهب من مالك ما علمك.

***

طأطئوا الرءوس ياقوم اجلالا لمصرع البطولة!!

ان شهيدينا قُتلا فى السماء، وغُسلا بالنار لا بالماء، ودُرجا فى عَلم لا فى كفن، وحُملا على مدفع لا على نعش، وكتبا فى سجل الخلد لا فى دفتر (الصحة)

فهل هذه الموتة العظمى تفتُّ فى الاعضاد وتفل من غرب العزيمة؟

ان الامة التى لم تكد تأخذ بأسباب الطيران حتى يبادر الى خوض اهواله فتاة من فتياتها، ويسبق الى الشهادة فى سبيله فتَيان من فتيانها، لا يستطيع أن يكسر من ذرعها حادث، ولا يتكاءدها فى طريقها اليه عقبة.

سلام الله على أشبالنا فى الجهاد، وعلى أبطالنا فى الاستشهاد، وعلى شهدائنا فى قُدْس الخلود!

احمد حسن الزيات

الاســاليب

للاستاذ امين الخولى

المدرس بكلية الآداب

فى مصر اليوم أساليب تمتاز بامتياز البيئات ، وتختلف باختلاف الثقافات ، ويذهب كل أناس باسلوبهم لايعدلون به اسلوبا ، ولا يرضون ، منه بديلا ، بل لايرون له مثيلا ؛ ونحن بين ذلك كله فى حيرة مما نأخذ وندع

وما أعنى الاساليب الادبية ولا الأنماط الفنية ، فلعل الامر فى ذلك هين يسير ، انما أعنى أساليب التفكير ، وطرائق التعقل ومذاهب الناس فى تقرير الحقائق ، وتقبل مايقبلون منها ورفض ما يرفضون . تتمثل فى مصر اليوم بيئات فكرية متعددة ،وطرائق تهذيب مختلفة الاصول متباعدة الأسس ، حتى لترى المسلمات المقررة عند فريق ، تنكر فى عنف بل فى سخرية أحيانا عند آخرين ، ونحن على هذا فى مفترق طرق متشابكة ؛ وشباننا الآخذون سبل الحياة فى حيرة ، لايجدون معالم واضحة ، ولايدرون أين يذهبون ، وحين يلتمس أولئك الشبان الحقيقة من هداة أدلاء يحملون الاقلام فى هذا البلد لايجدون الامن يداوى الاختلاف بالفرقة ولاتستقر الحياة الفكرية لامة هذا شأنها . وإذا كانت مصر قد خلصت من تعدد العناصر ، وتكاثر اللغات ، واختلاف الاديان والنحل فانها لما تظفر بوحدة المزاج النفسى ، وتجانس الأسلوب الفكرى ؛ وليس ذلك على أمة ناهضة بايسر خطرا وأهون شأنا من النواحى الاخرى فى الاختلاف

وماجردت اليوم قلمى لأكتب سدا لفراغ أو تلبية لطلب كأكثر مايكتب الآن ، بل تأثرا بحالة أشهدها كل يوم حين أغدو وأروح بين الجامعتين الازهرية والمصرية ، وأعانيها كل يوم مع هؤلاء الشبان الذين لايكاد يهون معهم التفاهم المنظم ، بل يشق ويعسر إن لم أقل يستحيل. أرى فى الجامعتين محافظين مسرفين ، ومجددين مسرفين ، وقد أرى هؤلاء حيث لايتوقع ان أراهم ، وأجد أولئك حيث لايدور بخلدى ان تقع عينى عليهم ، كما أرى فى الناحيتين من لم يتجددوا ولم يحافظوا ، ولكل اسلوب فكرى مضطرب فاسد ينتهى به الى نتائج تزيد مسافة الخلف بينه وبين الآخرين . وما إخال القارىء فى حاجة الى شىء من المثال على ذلك ، فهو واجده حيث يرسل بصره ، ويصيخ بأذنه ، جليا واضحا فى صحافتنا اليومية والاسبوعية والشهرية ، وفى أنديتنا ومجامعنا ، وفى المناقشة تجرى بين متعلمين فى أى مكان ؛ وهى حال لاينخدع عنها أحد مهما تجاهلها ؛ يشعر بها كل ذى أسلوب من تلك الاساليب فتجد صداها فى أسف صاحب القديم أسفا عميقا على مايكون من طيش أولئك الذين لايبرءون عن الهوى والنزق ، ولا يعفون من الاتهام فى دينهم ووطنيتهم. كما تجد صورة ذلك الافتراق فى ضجر المشتطين وتبرمهم بتلك التقهقرات التى تصيب التدرج العقلى ، وتعوق الحرية الفكرية ؛ وفى سخطهم على هاتيك الرجعات التى تنتكس بها النهضة ؛ وكما تجد هذا الافتراق فى الاساليب عند المترددين بين الطريقين المحاولين التوسط، حين يقصون من الجديد ويمطون فى القديم ، يرجون ان يتقابل هذا وذاك ويتوافقا ؛ فى كل هؤلاء تجد أساليب من التفكير مختلفة ، فتشعر فى ألم باضطراب كياننا الفكرى ، وتجد هذا الاضطراب يزداد شدة وخطورة ، حين تتحكم فى التفكير نزوة سياسية ، أو يصل أصحاب الرأى حبلهم باعتبارات دينية ، عندذلك يشتد اضطراب اسلوب الفكر حتى يصير قلقا مزعجا وانتكاسا عجيبا ، والويل كل الويل للحقيقة ؛ بل الويل كله لشبابنا خاصة حين يضيع منه جيل وجيل ضحية هذا الاضطراب ، وحين يقبع الخائفون من هوى السياسة ، ومجازفة أهل الدين ، فيسكتون طمعا فى السلامة ؛ أو يروجون لما هو فى سريرتهم خطأ بل ضلال . فتضيع الحقيقة ويضيع الشبان قربانا لهذا الحذر وحب السلامة .

لقد أخشى ان يتلكأ قلمى أو يتوقف حين ثارت ذكرى هذه التهديدات ، فيؤثر الاخلاد الوديع الى الهدوء ؛ لكنى حامله على ألا يفعل ، وماض فى نقد تلك الاساليب مهما غضب أصحابها ومصطنعوها مبتغيا وجه الحقيقة وحدها . غير ملوث ماأقول بشىء من هذه المهاترة التى تسود جو المناقشات عندنا فتكون شرا على شر .

١

فى مصر نفر أسلوبهم الفكرى ان يضعوا العقل فى مكان الانسان من يد الموت كما يشبهه طرفة بن العبد فى قوله :

لعمرك إن الموت ماأخطأ الفتى لكالطول المرخى وثنياه باليد

يجول العقل فى مسارح الكون على ان يظل حبله فى يدهم ، أو يد الدين كما يفهمونه هم لا كما هو فى طبيعته وحقيقته ، فحيث خلوه سرح ، وحيث كفوه انكف ، وحيثما هزوا حبله فهو خاطىء . وتقول لهم ان عنيتم بهذا التحكم فى العقل أنه عاجز عن استكناه كل شىء

والنفاذ الى صميم الحقائق كلها فنحن معكم ، لكن دعوا العقل يشعر من نفسه بهذا العجز ، ولاتفرضوا عليه العجز فرضا وسيطرة ؛ بل دعوه يعرفه بالتجربة ، فيأبون إلا أخذه بالحبل . وتنبئهم ان مسالك العقل فى الوصول الى الحقائق مختلفة ، ومنها مالاسبيل الى رد نتائجه ، ولاحيلة فى نقضها ، فهو حين يعتمد التجربة ويحدث عن واقع لاخير لكم فى مناقشته ، ولاسبيل لكم الى كفه ، وان تفعلوا فهو متمرد يخشى عليكم خطره ، فيأبون ألا الحبل . تحدث اليهم مثلا عن تدرج المعارف البشرية وترقيها ومايشاهد من مظاهر ذلك البارزة فى طبقات الناس ، فيجبهونك بأن آدم أبو البشر قد علمه الله الاسماء – وعلمه الله المسميات أيضا – وهو رسول ، فليس يصح بعد ذلك ماتقولون من هذا التدرج . وليس الامر عندهم ألا ان رأس الدنيا فى قدمها وعقلها فى عقبها ؛ ولايجديك ان تفرق بين الخبرية الخلقية النفسية ، والمعرفة العلمية ؛ ومهما تساهلت أو تنازلت لاتصل منهم الى رضا واطمئنان . يسمعون ان الكائن المادى والمعنوى يتأثر ببيئته ؛ ويتبادل التأثير مع جميع ماحوله ؛ فلا يرضون ان يكون الفقه الاسلامى مثلا قد جرى عليه ذلك واصابته هذه الفضيحة ! ويضربون الارض برءوسهم معلنين أنهم لن يسمحوا بان يقال ذلك .

مثل هذا الاسلوب خاطىء . يضيع مايريد الدين ان يخفف به غلواء العقل ونزقه ، ويزج أصحابه بالدين فيما ليس من شأنه ؛ ويضيعون معالم الأشياء ، وحدود الحقائق ليوجدوا تحكمافى العقول البشرية ، ويبنوا لها محابس ويضعوا عليها أغلاقا ؛ وقد طبعها الله وثابة نفاذة متغلغلة محلقة

٢

وفى مصر قوم أسلوبهم ان يرسلوا العقل ، أوقل يرسلون أنفسهم إرسالا ، فيقولون بالظنة ، ويحكمون بالشبهة ، ويقطعون بالبداء ، ويجزمون باللمحة ؛ هذا إذا كان الحكم لهم ، فان كان من غيرهم طلبوا من الدليل مالايطلب ، وجعلوا العقلى التجريبى فى موضع الظنى ، فتارة يقلبون الحقيقة ، فكما يسمون النتيجة التجريبية علما ، يسمون النتيجة النظرية علما ، ويسمون الفرض الاضطرارى علما ، ويسمون الحل المؤقت الذى يبعثه العجز عن الحقيقة الصحيحة علما ، فيزعمون ان ذلك كله من مملكة العقل التى هو فيها حر مسيطر ليس لأحد ان يحد من سلطته . يريدون ان تكون الحقيقة الطبيعية ، والنتيجة الرياضية ، والرواية التاريخية والخاطرة الفنية ، كل أولئك عمليات علميات لافارق بينها ؛ ولها جميعا ان تضرب وجه الدين ، وتصفع قفاه ساخرة فى غير حياء ولاتقدير حتى لآداب اللياقة ؛ وطورا على اساس هذه التسوية الغربية يرون ان العلم أذا لم يلمس وجود شىء فليس موجودا ، ولايصح لعاقل ان يتحدث عنه ، ومادام الأله لم يختبر فى المعمل فلا معبود ولادين ؛ يشكون والشك حق فطرى لاينكر عليهم ؛ لكنهم لايلتمسون الادلة كما هى الخطوة الاولى بعد الشك ، بل يطرحون ماشكوا فيه ويهملونه . وكذلك يفعلون حين يشتبهون ويقوى فى تقديرهم الاشتباه ، فيعدون اشتباههم آية عجز كل محاولة للاثبات ، وفشل كل دليل ، فيطمئنون الى بطلان مااشتبهوا فيه ؛ . وتقول لهم ان الاسلوب التجريبى لايقبل مادون التجربة مادامت مستطاعة ، فاحتكموا إليه متى أمكن ، وهاتوه اذا ماادعيتم : أولا فأحسنوا تقدير مادونه من الادلة ، فأساليب البحث مختلفة ، ولكل فرع اسلوبه ؛ ونحن فى أساس التجمع ، ونظامه ، والتشريع له ، وفى حقبة الحق ، وخيرية الخير ، وغير ذلك لانملك التجربة ولا المعادلة الرياضية فنثبت بماعداها ونسلم ؛ فلاهم مثبتون بالتجربة إذا ادعوا ، ولاهم قابلون من غيرهم مثل دليلهم إذا ادعى ؛ وتحدثهم عن ان بطلان الدليل لايستلزم بطلان المدلول ، وان مانجهل أكثر مما نعلم فيسخرون بهذه العبارات القديمة ؛ ويناقضون انفسهم فى تقرير مايرفضون مثله ، ورفض مثل الذى يقررون .

ذلك اسلوب خاطىء ؛ لايحدد قيم المعلومات ، ولايطلب لكل دعوى دليل مثلها ، ويضيع معالم الحقائق فى النفس ، فيخضع الانسان للفرض والظن اخضاعه اياه للمجرب المطرد فيفسد التقدير ، ويسلح اعداء الحرية الفكرية باغلاط اولئك المتحررين خطأ ، ويضيع هيبة العلم . ويعكر ماينه وبين الدين ، بل مابين العلم والاخلاق مما له اثره العنيف الخطر فى حياة الجماعة

٣

فى مصر من اسلوبهم ان يهجموا على مخالفهم فى الفكرة قبل تأييد فكرتهم ؛ ولو كان هذا المخالف يتناول الموضوع من غير الناحية التى يتناولونه هم منها ، وبطريق غير طريقهم ؛ فتراهم يوازنون بين الفكرتين ويفاضلون بين الرأيين ؛ ولما يبحثوا اولا يدلهم بان يبحثوا إلا واحدا منهما ؛ بل هم لم يفرغوا بعد من بحثهم وتأييد رأيهم ، ويزيدون ذلك بألا يجعلوا الموازنة علمية ، بل يقلبونها موازنة خلقية أو فنية ، فلا يبينون الخطأ ولكن يقولون هذا تغرير أو هذا سخيف وما الى ذلك مما يغضب ويؤلم ، دون أن

(البقية على صفحة ٤٢)

الذوق العام

للاستاذ احمد أمين

يظهر لى أن للأمة ذوقا عاما كما أن لها رأيا عاما وعرفا عاما لكلٍ دائرة اختصاص لا يتعداها

فالرأى العام مداره الآراء والأفكار والمعقولات، والعرف العام مداره العادات أما الذوق العام فمداره الفن والجمال

وكما أن هناك قدرا مشتركا بين المصريين مثلا فى لونهم وتقاطيع وجوههم وملامحهم ،فنستطيع فى سهولة ويسر أن نميز المصرى من الاجنبى حتى فى البلاد الاجنبية — وكما أن هناك قدرا مشتركا فى الرأى العام المصرى فى النواحى السياسية والاجتماعية يميزه من غيره من الرأى العام الاوربى — فكذلك الشأن فى الذوق العام

يتجلى هذا فى كل أنواع الفنون كالطعوم ، فلكل أمة أنواع من الطعوم تستلذها وتغرم بها ،هى نتيجة ذوقها ،ومن أجل هذا كان طهى كل أمة يخالف طهى الأمة الأخرى — ولا يقتصر هذا على نوع المأكول بل يتعداه الى كيفية اعداده ، وبذا نستطيع أن نحكم على الأمة بأنها تستجيد كذا من ألوان الطعام وأنواعه ، على حين أن الأمة الاخرى لا تستسيغه ولا تتذوقه

ومثل الطعوم غيرها من الفنون ، فالذوق العام المصرى يقدر الموسيقى المصرية أكثر مما يقدر الموسيقى الغربية ، بل لا يستلذها ولا يرى فيها جمالا ، كما أن أكثر الغربيين لا يجد فى الموسيقى الشرقية طعما ، ولا يقيم لها وزنا

وكذلك أشكال البناء وما يستجاد منها وما لا يستجاد وأنواع الملابس وألوانها وما يستجمل منها وما يستهجن : كلها خاضعة للذوق العام فى الأمة . ولكل أمة فى هذه الشؤون ذوقها يميزها من غيرها ويضعها فى درجة خاصة من سلم الرقى

وهذا الذوق العام فى كل امة هو الذى يقوّم الادب ويتذوقه ، وهو الذى يجعل لكل أمة أدبا خاصا ، فالادب المصرى مثله مثل الطعوم المصرية ، والغناء المصرى والبناء المصرى انما يتذوقه المصريون بذوقهم العام ولا يتذوقه الغربيون بذوقهم العام ، كما لا يتذوقون طعومنا وغناءنا ، فالنوادر المصرية التى تعجب المصرى حتى تبعثه على أشد الضحك وأعمقه قد لا تحمل الاجنبى على التبسم ، والقصص « والحواديت » المصرية التى تسترق لب المصرى وتستهويه ، قد لا يأبه لها الاورپى ولا يعيرها التفاتا اذا ترجمت له ـ نعم قد يعجب المصرى بآيات من الآداب الغربية ولكنه لا يتم له ذلك الابعد ان يحور ذوقه ويمرنه تمرينا طويلا على تذوّق هذا الادب ، كما يمرن المصرى ذوقه على استجادة الموسيقى الغربية فيستجيدها بعد طول المران ، ولكن هذا ليس من الذوق العام فى شىء

كما لا نستطيع ان ننكر ان هناك نوعا من الادب عالميا؛ اذا ترجم الى أية لغة استجيد كنوع من القصص ، ونوع من الامثال ، ولكن سبب ذلك ان هناك قدرا مشتركا بين الاذواق ، كما ان هناك قدرا مشتركا بين العقول ، فاستجادة المصريين لبعض الأدب الغربى أو الغربيين لبعض الادب العربى ، شأنها شأن اشتراك الناس جميعا فى استجادة بعض الطعوم أو بعض قطع الموسيقى ، وهذا لا يغير فيما ادعينا شيئا من ان لكل أمة ذوقا عاما خاصا بها

وهذا الذوق العام للامة يستبد بالأفراد استبدادا لا حد له ، فالناس جميعا خاضعون لأنواع شتى من الاستبداد كاستبداد النظم السياسية ،واستبداد العقول ،واستبداد الرؤساء ولكن هذه كلها محدودة الدائرة ،أما استبداد الذوق العام فلا حد له ،ولا سلطان يشبه سلطانه ، ذلك أنه بجانب الذوق العام للأمة ذوق خاص بالفرد ، فكل فرد له ذوقه الخاص يستجيد به بعض الاشياء ولا يستجيد بعضا ،ويستحسن به ويستهجن، ويستجمل ويستقبح ، ولكنه فى كل ذلك مسلوب الحرية خاضع خضوعا تاما للذوق العام . قد يشتد الحر فلا يطيق الانسان نفسه ،وقد يكون فى نوع من اللبس ما يخفف وطأته ويكسر من حدته ،ولكن لابد أن تخضع للذوق العام ، فتلبس الخناق ورباط الرقبة وما الى ذلك خضوعا للذوق العام

وخشية من استهجانه، فليس انسان يلبس ما يحب ولا يأكل ما يحب على النمط الذى يحب، ولا يتكلم كما يحب على النمط الذى يحب، انما هو فى كل ذلك عبد أسير ذليل مقيد مغلول، فى كل خطوة يخطوها، وفى كل نفس يتنفسه — لقد قيدتنا القوانين بأعمال يجب أن نعملها، وأعمال يجب أن نتجنبها، ولكنها ليست بشىء بجانب أوامر الذوق العام ونواهيه — وعقوبات الذوق العام سريعة فاتكة متنوعة، فهو يعاقب بالاحتقار والازدراء، ويعاقب بالنظر الشزر، والكلمة الجارحة القاسية، ويعاقب بالنقد والتجريح، وهو فى كل ذلك لا يسمع دفاعا ولا يقبل عذراً، ولا يؤجل عقوبة، ولا يقبل حكمه نقضا وإبراما، ولا يعرف حكما مع ايقاف التنفيذ — لاشىء من ذلك كله ولكن حكمه حكم صارم، قاس ظالم

وكذلك الشأن فى كل نوع من أنواع الفنون، فأذا اشتهر مغن وأعجب ذوق الجمهور فلاحق لك ان تعيبه، واذا عبته فعبه سرا، وحذار أن تجهر بذلك فيكون دليلا على فساد ذوقك وضعف حسك

ومثل ذلك فى الأدب - إذا قال الناس ان سحبان وائل خطيب يضرب به المثل فى البيان، فيقال أفصح من سحبان فقل مثلهم وان كنت لم تقف على شىء يثبت فصاحته ويبرهن على بلاغته، وان فتشت عن كل أقواله فلم تجد الا اسطرا ثلاثة قال فيها ان الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، الخ ولم تستجد هذا فاتهم ذوقك وكرر قولهم: «أبلغ من سحبان»

واذا قالوا ان من أبلغ خطب العرب خطبة قس بن ساعدة: ايها الناس اسمعوا وعوا، واذا وعيتم فانتفعوا، الخ، فقل كما قالوا وان لم تتذوق

واذا قالوا إن النابغة الذبيانى فضل الشعراء بقوله:

هذا غلام حسنٌ وجهه مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الاكبر والحارث الـ أصغر والاعرج خير الانام
ثم لهند ولهند وقد أسرع فى الخيرات منه أمام
خمسة آباء همُ ماهمُ همْ خير من يشرب صوب الغمام

ثم قرأتها ولم تشعر لها بطعم، ولم ترعك ألفاظها ومعانيها فقل ان النابغة فضل الشعراء بها، والا اتهمت فى ذوقك ورميت بضعف أدبك

وكذلك فاخضع دائما لحكمهم وذوقهم، فمن قالوا فيه انه امام الأدب أو سيد الشعراء غير مدافع، أو قالوا انه شاعر متكلف، أو أديب متخلف، فأياك ان تحدثك نفسك بان تقلب اوضاعهم أو تخالف إجماعهم

هكذا استبداد الذوق العام، ولست تستطيع الخروج عليه واعلان استقلال ذوقك عنه الا بثورة عنيفة على الذوق وتعرض لكل أنواع العقوبات الذوقية

□□□

ثم ان كل ماترى فى الامة من مظاهر القبح واقراره فعلته ضعف الذوق العام - فاذا رأيت الامة تصدف عما فى بلادها من أزهار، ولا يخفق قلبها لرؤية جمالها وجمال طبيعتها، ولا تتغزل فى محاسنها، فاعلم ان سبب ذلك ضعف الذوق العام، واذا رأيت الامة لاتقدس النظافة ولاتشمئز من القذارة اشمئزازها من أبغض شىء وأقبحه، فعلل ذلك بضعف الذوق العام، واذا رأيتنا فى المجتمعات لانرعى نظاما ولا ننصت لفن أو ممثل ولا نتقيد بآداب اللياقة فقل انه ضعف الذوق العام وهكذا...

ومن الغريب أن هذا الذوق العام الذى يستبد بى فى مأكلى وملبسى ومسمعى وأدبى — كما رأيت — لا يستبد فى هذه الاشياء، ولا يبدى أى سلطان على هذا النوع من الضعف، فهو لايحتقر المرء لايقوّم الزهر، ولا يزدرى من يسىء فى المجتمعات العامة، ولكن يزدريني اذا خرجت من غير طربوش أو رباط رقبة فى يوم حار، وسبب ذلك أن الذوق العام لايعاقب الا على ما يتذوق، وفى دائرة ما يفهم، فهو اذا قوّم مناظر الطبيعة عاقب من لم يتذوقها، واذا أدرك جمال النظام وآداب المجتمعات عاقب من مسها بسوء، ولما يصل الى هذه الدرجة

□□□

وبعد فشأن الذوق العام شأن الرأى العام كلاهما قابل للاصلاح والرقى، فالرأى العام ضعيف وسخيف اذا صدر عن أمة جاهلة، ويرقى الرأى العام بانتشار الثقافة وتعميم التربية، ويدل تاريخ كل أمة على أنها فى أول أمرها لايكون لها رأى عام، ثم تمنح أفرادا قليلين أقوياء، زعماء مثقفين يوفقون فى دعوتهم فيخلقون رأيا عاما، وإن هؤلاء القادة يجب ان

يستبقوا بنوع من الثقافة العامة فى الامة حتى تستطيع ان تفهم قادتها و آراءهم، فيأتى هؤلاء القادة فيكونون ارادة عامة للامة، ويؤلفون بين اتجاهاتها ويكونون منها وحدة

ومما نأسف له أن مجهودات كبيرة بذلت فى ترقية الثقافة العقلية، وبرامج كثيرة وضعت فى تعميم التربية العقلية وفى تكوين الرأى العام، ولكن لم توضع برامج لتربية الذوق العام. ولا بذل مجهود فى ترقيته ورفع مستواه، فكان لنا زعماء سياسيون وزعماء عقليون ولكن لم يكن لنا زعماء ذوقيون

وفى ظنى أن الذين يبحثون فى ترقية الفنون عامة من موسيقى ونقش وتصوير وادب مخطئون كل الخطأ، لانهم يحاولون أن يصلحوا النتائج من غير أن يصلحوا المقدمات، فليس الفنان فى الأمة الا صدى لذوقها العام، فاذا صح الذوق صح الفن والا فلا ليس الفن والادب من جنس النباتات التى تنبت من تلقاء نفسها. ولا هو مما يظهر مصادفة واتفاقا وانما هو نتيجة لازمة لعوامل طبيعية سأحاول ان أبينها فى مقال تال. احمد امين

— ٤ —

محمد بن القاسم الثقفى

٧٣ — ٩٦ هـ

للاستاذ عبد الحميد العبادى

لو أن من يدرس تاريخ الأمة العربية فتش فى ثنايا هذا التاريخ عن شخصية تتمثل فيها سجايا تلك الأمة الكبيرة وعناصر قوتها لما وجد أجمع لتلك السجايا وهذه العناصر من شخصية الفتى الشهيد والفاتح العظيم، والشاعر الحساس، محمد بن القاسم الثقفى الذى شرع فى غزو السند فى السابعة عشرة من عمره وأتمه ولما يتجاوز الثالثة والعشرين فادخل بذلك فى الهند الثقافة الأسلامية التى يدين بها فى الوقت الحاضر زهاء ثمانين مليوناً من أهلها. انها شخصية تجمع الى فتاء السن حنكة الكهولة، والى خشونة الجندى رقة الشاعر والى الحرص على الدنيا زهد الفيلسوف وطمأنينة الحكيم. وكل هذه صفات اتصف بها العرب فى نهضتهم التاريخية الكبرى التى رجت العالم القديم فنبهته من سباته ورسمت للتاريخ مجرى جديداً!

وهو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى، فهو من ثقيف المشهورة فى الجاهلية والاسلام بقوة الدهاء وسعة الحيلة ومضاء العزيمة، ثم هو ابن عم الحجاج أمير العراق ورجل الدولة الأسلامية فى الربع الأخير من القرن الأول الهجرى. يلتقى نسبهما فى الحكم بن أبى عقيل. ولد حوالى سنة ٧٣ هـ، ونقع الحوادث مثار وريح الفتن نكباء، والسيوف يتجاوب صليلها فى فارس والعراق والحجاز وأفريقية، فجعل غلامنا يتنفس فى جو مكفهر عابس ولقف صناعة الحرب سماعا وعيانا، ثم شاء ربك رحمة منه بالناس أن يكون الى جانب هذه الحياة القلقة المضطربة الخائفة حياة أخرى آمنة هادئة هى حياة الأدب الذى يتمثل فى الشعر الغنائى الرقيق المأثور عن ابن أبى ربيعة وجميل وكثير والنميرى وغيرهم من شعراء ذلك الزمان. فعشا نظر الفتى الثقفى الحائر الى ذلك النور المشرق. فجاءه واهتدى به، وهفت نفسه العطشى الى ذلك المورد العذب فورده وارتوى منه، وبذلك اعتدل مزاجه، ورقت حواشى نفسه وأصبح

وهو فى السابعة عشرة من عمره أشرف ثقفى فى زمانه كما يقول صاحب الأغانى ، وأقبل الحجاج وهو هو فى نقد الرجال وتمييز الكفايات يعقد به آمالا كباراً ، ويرشحه على حداثة سنه للأمر الجليل بعد الأمر الجليل .

٭٭٭

لم يكد ينتصف العقد التاسع من القرن الأول الهجرى حتى كانت الفتن التى صدعت وحدة الدولة الأسلامية من بعد معاوية قد ركدت ريحها ، فانتهت ثورة ابن الزبير بالحجاز ، وكسرت شوكة الخوارج بفارس ، وسكنت العاصفة الهوجاء التى أثارها ابن الاشعث بالعراق . هنالك عاود العرب حبهم القديم للفتح والتغلب ، وكان الحجاج واضع سياسة ذلك الاتجاه الجديد ومنفذها ، فغزا قتيبة بن مسلم ما وراء النهر وأوغل فيها ، وتوطد سلطان الدولة ببلاد عمان ، وغزا موسى بن نصير المغرب وقرع أبواب الأندلس نفسها . وقد أراد الحجاج أن تأخذ ثقيف بنصيبها من شرف هذه الفتوح الجسام ، فأغزى ابن عمه محمد بن القاسم السند التى هى مدخل ذلك العالم الزاخر بالناس والحافل بالخيرات ، والذى يسمى بلاد الهند

الحق ان الحجاج لم يبتكر سياسة غزو الهند فقد عرف هذه البلاد عرب شرقى الجزيرة منذ الجاهلية ، وطالما ركبوا البحر الى شواطئها مستبضعين وتجاراً ، فلما قامت الدولة الاسلامية طمعوا فى غزوها وتملكها ، يروى صاحب فتوح البلدان « ان عمر بن الخطاب ولى عثمان بن ابى العاص الثقفى البحرين وعمان سنة ١٥ ﻫ فوجه أخاه الحكم الى البحرين ومضى الى عمان » فأقطع جيشا الى تانه (قريب من موقع بومباى الحاضرة) فلما رجع الجيش كتب الى عمر يعلمه ، فكتب اليه عمر : ياأخا ثقيف حملت دودا على عود ، وانى أحلف بالله ان لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم » . وتتابعت غارات عرب البحرين من عبد القيس وغيرها على شواطىء الهند وجزائرها وخاصة جزيرة سيلان التى كان يقال لها اذ ذاك « جزيرة الياقوت » لحسن وجوه نسائها ، فمن هؤلاء العرب من أفلح فى المقام بها ومنهم من عاد الى بلاده وملء يديه السبى الرائع والمغنم الوافر . هذا من ناحية العرب ، اما من ناحية الهند انفسهم فقد « هاجرت منهم فى الجاهلية طوائف الى رأس الخليج الفارسى وخضعت للدولة الفارسية القديمة ، فلما مصرت البصرة نزلوها وحالفوا من بها من العرب .

فلما كان زمن الحجاج أغزى عماله على مكران ثغر السند فكلهم كان ينكب او يقتل ، وأرض السند عبارة عن حوض نهر السند العظيم تنزلها قبائل عديدة قوية نذكر منها الزط والسيابجة والميد والبرهة .

وكان بالسند بلدان كثيرة منتشرة فى اهضام الأودية ورءوس الجبال . منها الديبل ، وكانت ثغر السند قبل كراتشى الحاضرة وبرهمنا باذ وراور والملتان . وكانت هذه البلدان قوية غنية بمعابدها البوذية القديمة وخاصة معبد الملتان . قال البلاذرى « وكان بد الملتان تهدى اليه الأموال ، وتنذر له النذور ، ويحج اليه السند ، ويطوفون به ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون ان صنما فيه هو ايوب النبى صلعم » اما من الناحية السياسية فقد كان يتوزع بلدان السند وقبائلهم عدة ملوك متقاطعى الكلمة مختلفى الأهواء وكان اقواهم سلطانا إبان غزو العرب للسند ملك يقال له داهر ، فهو الذى أشجى قواد الحجاج وأذاقهم مرارة الهزيمة المرة بعد المرة . والطريف ان مصرع هؤلاء القواد لم يحمل الحجاج على الجد فى قتال داهر بمقدار ماحمله عليه استغاثة امرأة عربية اعتدى عليها وعلى نسوة عربيات كن معها بعض قراصين البحر من اهل السند التابعين لداهر .

وذلك ان ملك جزيرة الياقوت فيما يروى البلاذرى ، أراد التقرب من الحجاج فأهدى اليه نسوة ولدن فى بلاده مسلمات ومات آباؤهن وكانوا تجارا ، فعرض للسفينة التى كن فيها قراصين من ميد الديبل فاخذوا السفينة بما فيها ، فنادت امرأة منهن من بنى يربوع : ياحجاج ! وبلغ الحجاج ذلك ، فقال يالبيك ! وارسل من فوره الى داهر يسأله تخلية النسوة . فأجاب بانه انما اخذهن لصوص لاقدرة له عليهم . فاغزى الحجاج اثنين من عماله ثغر السند فكلاهما قتل ، فاهتاج الحجاج وتجرد لقتال داهر ، وكان قد أعد محمد بن القاسم لغزو الرى فلما حدث ما حدث على حدود السند رأى فى هذا الشاب من يرأب الصدع ويدرك الثأر ، فرده عن غزو الرى وعقد له على مكران وثغر السند ، وأمره أن يقيم بشيراز حتى توافيه القوة التى أخذ يعدها لقتال داهر .

كانت هذه القوة مؤلفة من جيش واسطول ، اما الجيش فكانت عدته زهاء عشرين الف مقاتل منهم ستة آلاف فارس من جند الشام الذين كانوا عدة الدولة الاموية ومعولها والذين وطأوا للامويين اكناف ملكهم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . واما الاسطول فكان يحمل المشاة والمؤن وعدد الحرب الثقيلة · ومن هذه خمس مجانيق ضخام ، يقال لاكبرها (العروس) ويروى البلاذرى انه كان يمدفيها خمسمائة رجل . وبالغ الحجاج على عادته فى اعداد الجيش حتى أنه » . . . جهزه بكل مااحتاج اليه من الخيوط والمسال وعمد الى القطن المحلوج فنقع فى الخل الخمر الحاذق ثم جفف فى الظل ، فقال اذا صرتم الى السند فان الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن

ثم اطبخوا به واصطبغوا » ثم تقدم الى محمد الا يقطع عنه اخباره بحيث يختلف البريد بينهما مرة كل ثلاثة أيام .

***

خرج محمد بن القاسم بجيشه من شيراز عام سنة ٩٠ هـ فسار مشرقا متبعاً ساحل البحر يطوى الحزون والسهول ، ويجوب المهامه والقفار ، ويحدوه ما يحدو الشباب الحى من حب للمجد وتعلق باسباب المعالى ، فتغلب على صحارى كرمان ومكران ، وبلغ الديبل سالما . ولم يكد يحط رحاله حتى كان الأسطول قد وافاه بها . فشرع من فوره فى مهاجمة المدينة . قال صاحب فتوح البلدان « فقدم الديبل يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وركزت الرماح على الخندق ونشرت الاعلام وأنزل الناس على راياتهم ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس كان يمد فيها خمسمائة رجل . وكان بالديبل (بد) عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل (سهم السفينة) راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور . . . . . . وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به فى كل ثلاثة ايام . فورد على محمد من الحجاج كتاب ان انصب العروس واقصر منها قامة ، ولتكن مما يلى المشرق ، ثم ادع صاحبها فمره ان يقصد برميته الدقل الذى وصفت لى ، فرمى الدقل فكسر ، فاشتد طرة (جزع) الكفر من ذلك . ثم ان محمداً ناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم وامر بالسلاليم فوضعت وصعد عليها الرجال . . . ففتحت عنوة . . . . وهرب عامل داهر عنها . . . . واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً وانزلها اربعة آلاف ، » ثم سار محمد مصعداً مع النهر يريد داهر ، وعظم جيشه فاستولى على مدينة الرور صلحاً . وانضم اليه على اثر ذلك اربعة آلاف من الزط ، وصار كثير من قبائل السند عونا له فى حربه مع داهر . ثم عبر نهر مهران والتقى بداهر وجيشه . وكان على فيل عظيم ومن حوله الجند على فيلة تنذر محمداً وجيشه بفتك ذريع ، ولكن محمدا اتقى شر الفيلة بقذائف النفط الملتهب يرميها بها فهاجت واحترقت هوادجها بمن فيها من الجند ، وانتشب بين الفريقين قتال هائل انجلى عن قتل داهر وتمزق جيشه ، وتراجع فلوله الى مدينة برهمناباذ . واقتفى محمد اثر تلك الفلول فاستولى على مدينة راور فبرهمنا باذ نفسها ، ومن ثم زحف الى مدينة الرور فحاصرها اشهرا ثم دانت له على ان يحقن دماء أهلها وألا يعرض لبدهم ، وان يؤدوا اليه الخراج . وقد وفى لهم بشرطهم وبنى بالمدينة مسجدا . ثم قطع نهر بياس الى الملتان اعظم بلدان السند العليا فامتنعت عليه أول الأمر ثم استولى عليها بممالأة رجل من اهلها له . ووضع يده على اموال جسيمة كانت بمعبدها البوذى .

كانت الملتان اقصى ماوصل اليه ابن القاسم من ناحية الشمال ، قال البلاذرى : «ونظر الحجاج فاذا هو قد انفق على محمد بن القاسم ستين الف الف درهم ، ووجد ما حمل اليه عشرين ومائة الف الف ، فقال : شفينا غيظنا وادركنا ثأرنا وازددنا ستين الف الف درهم ورأس داهر »

اخذت الملتان سنة ٩٥ هـ وعلى اثر ذلك اتت محمداً وفاة الحجاج فقفل راجعا نحو الجنوب مستولياً فى طريقه على مدن لملوك آخرين غير داهر ، وكان آخر ما فتح مدينة يقال لها (الكيرج) استولى عليها عنوة سنة ٩٦ هـ ثم اتاه نعى الخليفة الوليد بن عبد الملك وولاية اخيه سليمان ، فلم يبرح تلك المدينة ، وقلب له الدهر من ذلك الوقت ظهر المجن ، واخذ نجمه فى الأفول

***

لاشك أن الحجاج كان موفقا عند ما عهد الى ذلك الشاب قيادة تلك الحملة الخطيرة . فان محمدا بحداثة سنه وصدق فروسيته قد ملك زمام اصحابه . فلا نسمع ان احداً منهم حدثته نفسه بخلاف عليه او عصيان له . ثم انه بهذه الخلال نفسها وبرجاحة عقله وسعة حلمه اجتذب قلوب السند انفسهم ، فقد قارنوا بينه وبين ملوكهم المترفين المتجبرين المتخاذلين فلم يتهالك كثير من قبائلهم أن اعطاه الطاعة وأخذ جانبه فى الحرب كما سبق القول . ويروى انه عندما شرط عليه اهل مدينة الرور الا يقرب بدهم وفى لهم بذلك وقال : « ما البد الا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس . » وكانت حكومته اياهم عادلة « رفيقة اذا قيست بحكومة ملوكهم وامرائهم ، فقد تقدم الى عماله بهذه النصيحة : « أنصفوا الناس من انفسكم ، واذا كانت قسمة فاقسموا بالسوية ، وراعوا فى فرض الخراج مقدرة الناس على ادائه ولا تختلفوا ولا تنازعوا فتشقى بكم البلاد . ثم انه كان مدركا كل الادراك ان عليه واجبين عظيمين : عليه ان ينشر فى البلدان التى فتحها الثقافة الاسلامية ، وان يصل بين الشرق والغرب الاسلاميين ، من اجل ذلك كان اذا فتح مدينة أنزلها بعض اصحابه ، وبنى بها مسجدا ، ومن اجل ذلك نقل طوائف من الزط والسيابجة الى العراق . فانزل الحجاج بعضهم كورة كسكر بفارس ، ووجه بقيتهم الى الخليفة ، فانزلهم انطاكية وسواحل الشام لينتفع بخبرتهم البحرية فى قتال الروم ، كذلك ارسل الى الحجاج فيلة سميت ببعضها مشرعة الفيل التى كانت بواسط .

كما بعث اليه بآلاف من الجواميس السندية ، فاطلق الحجاج بعضها في آجام كسكر وكور دجلة ، وبعث كثيرا منها الى الخليفة فاطلقها في الآجام التي بين انطاكية والمصيصة ، واتقى بها سباع تلك الآجام وكانت قد كثرت وأخافت السابلة . وقد نمت هذه الماشية بالعراق على مر الزمن حتى اصبحت من اسباب ثروته الاقتصادية في الوقت الحاضر .

تلك غزوة محمد بن القاسم للسند . انها لاشك تذكرنا بغزو الاسكندر المقدوني لتلك البلاد نفسها في أخريات القرن الرابع قبل الميلاد . فالغزوتان تتشابهان من عدة وجوه ، تتشابهان من حيث ان كلتيهما برية بحرية الى حد بعيد ، ومن حيث حداثة كلا الفاتحين وكفايته ، ومن حيث ان كليهما نهج في نشر ثقافته بالسند نفس المنهج الذي نهجه الآخر ، ومن حيث ان كليهما كان يهدي الى استاذه طرفا من طرف فتوحه ويراسله مستطلعا رأيه ، فالفاتح المقدوني كان يهدي الى ارسطو ويراسله ، والفاتح العربي كان يهدي الى الحجاج ويراسله مصدراً في بعض المواقف عن رأيه . ولو ان أهل السند الذين غزاهم ابن القاسم ، والذين قد يكون منهم من يدين بشرعة التناسخ ذكروا تاريخ بلادهم القديم فربما رأوا في الفاتح العربي الحديث انبعاث روح الفاتح المقدوني القديم .

* * *

وبعد فماذا كان مصير ذلك الفاتح العظيم ؟ لقد جوزي جزاء سنمار وصار الى شر مصير فقد نكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك نكبة كان فيها تلف مهجته وبوار نفسه . والمصادر القديمة مختلفة في تعليل تلك النكبة : فالمصادر الفارسية ، وهي حديثة نسبيا وغير موثوق بها تزعم ان بنات داهر أفضين الى الخليفة بان ابن القاسم عبث بهن ، فاضطرم الخليفة غيظا وأمر بمحمد فوضع في أديم بقرة ثم خيط عليه الأديم وحمل الى دمشق ففاضت روحه بالطريق ، فلما بلغ بنات داهر مصرع الفتى استشعرن الندم وقلن انهن تجنين على ابن القاسم انتقاما ممن قتل اباهن وثل عرشه ، فاشتد غضب الخليفة عند ذلك وأمر بهن فقتلن شر قتلة : اما المصادر العربية وهي أقدم من المصادر الفارسية وأوثق فلا تذكر شيئا من أمر النسوة ، ويؤخذ منها ان الخليفة سليمان بن عبد الملك كان مضطغنا على الحجاج لانه كان قد زين للخليفة الوليد ابن عبد الملك خلع سليمان من ولاية العهد : اما وقد فارق الحجاج هذه الدنيا فقد رأى سليمان ان يشفي غيظه من أقربائه متأثرا في ذلك بنظام الثأر عند العرب . وقد اذكى نار الحقد والموجدة في صدره رجلان كلاهما قد وتره الحجاج و كلاهما كان متأثرا بالعصبية القبلية بين قيس واليمن : احدهما يزيد ابن المهلب وكان اثيرا مكينا لدى الخليفة ، والآخر صالح بن عبد الرحمن وقد ولاه سليمان خراج العراق

عزل محمد عن السند وولى مكانه يزيد بن ابي كبشة السكسكي فأخذ محمدا وقيده وسيره الى العراق مع رجل من بني المهلب على حال حركت قلوب اهل السند فبكوا عليه وصوره اهل الكيرج بمدينتهم التي كان منها شخوصه ، وقد تلقى محمد المحنة صابرا محتسبا ولم يكن في محنته اقل شجاعة وصبرا وأنفة منه وقت الحرب وحين البأس والغريب انه على اخلاص اصحابه له وعطف السند عليه لم تحدثه نفسه بالخلاف والانتقاض . والظاهر ان ايقن ان قد ادى واجبه وان الحياة اصبحت بعد ذلك لغوا وفضولا لا طائل فيه . وقد جعل يسري عن نفسه بمقطوعات من الشعر ضمنها آلامه وخواطر نفسه ، فمن ذلك قوله مشيرا الى انه لو اراد الثورة لشق على اعدائه تهضمه ،

ولو كنت اجمعت القرار لوطئت
اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك ارضنا
ولا كان من عك على امير
ولا كنت للعبد المزوني تابعاً
فيالك دهر بالكرام عثور !

ولما صار الى واسط حبسه صالح بن عبد الرحمن فقال :

فلئن ثويت بواسط وبأرضها
رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب قينة فارس قد رعتها
ولرب قرن قد تركت قتيلا

وعذبه صالح في رجال من اقرباء الحجاج حتى قتلهم ، فطفق الشعراء يرثون محمدا و يذكرون فضائله ، فمن ذلك قول بعضهم :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

وقال آخر

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
ولداته عن ذاك في اشغال

تلك خاتمة فتى فتيان العرب وسيد فرسانهم غير مدافع . فمن مبلغ مسلمي الارض عامة والهند خاصة ان الدوحة الاسلامية العالية التي اظلت بلاد الهند طوال العصور الوسطى ، انما كانت غرس ذلك الفتى العربي النبيل ؟ فليذكر ذلك الذاكرون فقد تبل الذكرى رفات ذلك الشهيد في قبره ، بعد ان عدم في حياته من يحمد بلاءه او يرحم شبابه ؟

... ثم ارادت ان تجعل منه رجلا !

للدكتور محمد عوض محمد

لقد قضى الأمر ، وزوجت منه ! . . .

فيا للعجب ! كيف ألم بالدهر هذا الحادث الخطير ، والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف ، وتطوف من حول الشمس وتمعن فى الطواف ؟ . والقمر ؟ أجل والقمر لم يزل ينتقل بين منازله المقدرة له من الأزل . . فكيف اذن نزل ذلك الخطب ؟

أكبر الظن أن القمر المذكور هو سبب تلك النكبة . أجل هو وحده المسئول عن تلك الكارثة . فان ليلى قد التقت بأحمد من قبل مرارا ، فى وضح النهار ، فلم تر فيه الا فى حسن الصورة ، ولم تحس نحوه ميلا ولا حبا . . لكنها التقت به بعد ذلك على شاطىء النيل ، فى ليلة يلمع فيها بدر التم ؛ فاذا القمر يوسوس فى صدرها ، ويثير فى فكرها الأوهام ، ويريها صورة ذلك الفتى ، وكأنها تمثال لكل مايتوق اليه قلب المرأة التواق من سحر وجمال وشعر وأحلام أما صوته المتكسر الواهى ، فكان يرن فى أذنيها كالموسيقى العذبة لكنها كانت من طراز موسيقى شوبرت الرقيقة ، لاموسيقى واغنر العنيفة القوية . . ولقد ساورها الشك لحظة ، وأرادت أن تسأل نفسها : «أنى لرجل كامل الرجولة أن يكون فى صوته كل هذه الرقة وهذا التكسر ؟ » لكن القمر لم يدعها طويلا تتلاعب بها الشكوك ، بل أوحى اليها بسرعة أن ذلك من أثر العشق الذى استحوذ على أحمد ، فرقق من صوته وأكسبه كل هذا اللين والعذوبة والخور ! . وكان القمر فى هذا كاذبا ؛ والحقيقة أن أحمد كان من ذلك الجنس الناعم الخائر الذى يبرأ منه الرجال والنساء على السواء .

فلم تنقض تلك الليلة المقمرة الساحرة حتى كان الحب مالئا قلب ليلى ؛ وقد جعل على عينها غشاوة لن يزيلها الا تعاقب الليل والنهار .

وهكذا تم النصر للقمر الماكر ! ويا ليت الزهرة كانت فى السماء تلك الليلة ، اذن لمحضت ليلى النصح ، وفتحت عينها لما هو محدق بها من الخطر ؛ لكن الزهرة لم تكن — يا للاسف ! — فى السماء . وهل فى الدهر سواها نصير للفتيات يرد عنهن الغوائل ، ويهديهن سواء السبيل ، ويأخذ بأيديهن كى لايترددن فى كل هوة مخيفة ؟ أما القمر فنصير الفتيان ، وعلى الخصوص أولئك الفتيان الخائرون المتكسرون ، الذين يشبهونه بوجوههم المليحة الناعمة الشاحبة الخالية من كل قوة ونخوة . . ولم تك إلا أسابيع قلائل ، حتى زوجت منه وقضى الأمر ! والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض ما انفكت تدور حول محورها المائل المنحرف

* * *

ثم كان شهر العسل !

فأما الشهر فلم يكن كشهرى وشهرك أيها القارىء ، مؤلفا من ثلاثين يوما ، أو واحد وثلاثين يوما على أكبر تقدير . بل لقد استطاع الحب — وهو ذلك الساحر البارع — أن يمسه بعصاه ، فاذا هو يمتد من أول مايو الى آخر اكتوبر ؛ وإن يوما عند الحب كألف يوم مما تعدون !

هذا ما كان من أمر الشهر ! وأما ما كان من أمر العسل فقد كان أرياً شهيا ، وشهدا جنيا ، وحلاوة وعذوبة ليس وراءهما حلاوة ولا عذوبة ، وخمرة سائغة ، لم تتناولها بالتحريم شرائع السماء ، ولا قوانين الولايات المتحدة .

وظلا غارقين فى ذلك البحر الخضم ، فلم تنتبه ليلى ، ولم تشأ أن تنتبه . وان كان فى الغرق كل هذه السعادة والنعيم ، فالويل لمن يفكر فى انقاذ الغرقى !

وسيقول الناس : ان الحب يعمى ويصم ، وأنا أربأ بالقارىء أن يكون ممن يرون هذا الرأى ، فان العمى والصمم هما — فيما يقال — عاهتان ، وما أبعد الحب — وأبعد به ! — أن يكون مسببا للآفات والعاهات ! وانما الصواب أن نقول ان الحب يضع على العينين عصابة من ذلك الطراز الجميل الذى يعصبون به عينى الثور حين يدور بالساقية ، فلا يزال يدور ثم يدور ، وهو يحسب نفسه قد طاف حول الكرة الأرضية .

وكذلك قد صور الحب لليلى أنها قد طافت العالم وأحرزت الدنيا بأسرها .

كل هذا ، والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقر لها ، والأرض مازالت تدور حول محورها المائل المنحرف

* * *

ثم لم يكن بد من أن يجىء اليوم الهائل المحتوم ؛ بعد أن ولى الربيع ، وذهب فى اثره الصيف ، وأتى بعدهما الخريف الذى لايدارى ولا يمارى ، بل يظهر الحقيقة عارية مجردة جافة .

وفى يوم من أيام الخريف بسط الدهر يديه القويتين فجأة، وكشف الغطاء عن عينى ليلى !.

نظرت، فلم تصدق الرؤيا التى رأتها... أجل وقد حسبتها رؤيا مما يراه النائم، الغارق فى نومه. وكبر مقتاً عندها أن يكون هذا مما تراه هى.. حتى فى الحلم... فجعلت تغمض عينها، ثم تفتحهما، مرارا... لا ! انها ليست نائمة، وهذا الذى تراه ليس حلما !.. هو الحقيقة اذن ؟. أجل وليس بجديها أن تحاول انكارها.. صحيح اذن أنها رضيت أحمد هذا زوجا، وأنه — ياللهول ! — قد شغفها حبا فلم تكترث للناصحين والعذال.. رضيت بذلك الكائن الممسوخ زوجا، ليكون لها فى الحياة رفيقا وعدة وذخرا. ذلك المخلوق اللين المتكسر الخائر، الذى ليس فى قلبه همة، ولا فى رأسه نخوة، ولا مطمح له فى الحياةولا مأرب، ولا عزمة له ولا إرادة ! ان الناس تصفه ظلما بأنه يشبه النساء، وهذا كذب، بل كفر، بل شر من الكفر !. ان النساء أجل واكرم من أن ينتسب اليهن هذا المخلوق، هذا اللين المستخذى، هـــذا الناعم الخائر، هذا التافه ذو الوجه (الكارت بوستال). ذوالصورة السنمائية الفاترة، الخالية من كل روح ومعنى.

أبمثل هذا الشىء تجن هى ؟.. ليلى ؟ ليلى التى طالما جشم أبوها نفسه وجشمها كل عناء وبلاء فى سبيل تأديبها وتثقيفها، لا يألو فى ذلك جهدا ولا مالا ولا وسيلة ! ألم يهيىء لها الأسباب لتتلقى العلم فى مصر على خير أساتذة مصر، وفى انجلترة فى خير معاهد انجلترة وأعظمها جميعا ؟.. أجل وما أشد سرورها يوم الفت نفسها، وهى بنت النيل، فى نيونهام كولدج تتلقى العلم هىوبنات النبلاء جنبا لجنب؛ وكان نجمها الساطع محلقا فى السماء لا يعلو عليه نجم، ولها بين صواحبها منزلة ومكانة وشهرة قدجاوزت نيونهام الى جميع دور العلم بكامبردج؛ وملأ الأعجاب بليلى المصرية صدور الشباب من الطلبة، والشيب من الاساتذة المحنكين.. ولقد طالما حاول الكثير من كرام الفتيان ان يتقرب اليها، فكانت ترده فى حزم ولطف وتواضع لم يزدها الا سموا وتقديرا..

ثم تلك الرسالة البديعة التى كتبتها عن الفلسفة العربية؛ فكانت نصرا باهرا، وتاجا براقا لتلك السنين الخمس، التى قضتها فى جد ودأب لا تعرف الدعة ولا الهوادة.

وهبطت مصر، تزدحم فى صدرها الآمال، وتريد أن تتبوأ مكانها بين قومها لكى تعمل على نصرهم وسؤددهم، بكل ما أوتيت من قوة وهمة؛ ولم تجد بأسا فى أن يكون لها فى جهادها العنيف رفيق يشد أزرها ويقوى ساعدها. ولم تكن ليلى من النساء اللواتى أغلقت قلوبهن دون الحب برتاج غليظ... ولكن شاءت المقادير العجيبة أن يكون رفيقها الذى تختاره وترتضيه هو ذلك المخلوق الناعم الخائر ذلك اللين المستخذى، ذا الوجه الكارت بوستال

والشمس مازالت فى السماء تجرى لمستقر لها، والأرض مابرحت تدور حول محورها المائل المنحرف.

* * *

وجلست ليلى وهى تطل من نافذتها، تنظر الى النيل اذ يندفع تياره من الجنوب الى الشمال، والى أشجار الصفصاف، وقد تدلت غصونها الى الماء كأنها عبرات تسيل ؟ والى السحب الحمراء قد خلفها الغروب. ومن دونها الأهرام قائمة على الأفق، والى الزهرة فى السماء تتألق وترقص بين السحاب.

أدركت ليلى أنها أخطأت.. أجل أخطأت برغم كل ما وعاه صدرها من علم وأدب وحكمة وفلسفة، وارتكاب الخطأ حق طبيعى لكل رجل، بل ولكل امرأة أيضا... الحيوانات لا تخطىء، لأنها تصدر فى أعمالها عن الغريزة، والغريزة معصومة عن الزلل. أما أبناء آدم وبناته فيصدرون عن العقل، وهو كثير العثرات.

اذن ليس ببدع أن تكون ليلى قد ارتكبت خطأ، وليس بعد الخطأ الا محاولة الاصلاح.. لكن كيف السبيل الى اصلاح هذا الخطأ ؟ ليست الأمراض سواء فى قبولها للعلاج، وليست الأخطاء سواء فى قبولها للاصلاح.

حاولت ليلى أن تلتمس الالهام مما تعلمه من حكمة وفلسفة. ولكنها لم تلبث أن تبينت أن ليس هذا بجديها نفعا. ان للفلاسفة فى هذا الموضوع الخطير اراء قلما تسمن أو تغنى...

ان (نيتشه) الذى تحبه لم يتزوج، و (كانت) العظيم عاش عمره الطويل لم يتزوج، وابو العلاء لم يجن على أحد، و (شوبنهاور) كثيرا ما كان يؤثر صحبة الكلاب على الخلان والاصدقاء؛ وسقراط وافلاطون؟... أولى بها ألا تفكر الآن فى سقراط وافلاطون... لا.. ليس بنافعها أن ترجع الى القدماء، كى يحلوا لها مشكلتها الحديثة.. لابد لها ان تركن الى نفسها وأن تعتمد على فلسفتها هى..

أجل وان لها فى هذا الامر لفلسفة خاصة، ورأيا ستحاول انفاذه: انها سوف تصلح أمر أحمد، وسوف تقوم معوجه، وسوف تجعل منه رجلا... هذا المرام البعيد، الذى يراه الناس محالا، كانت تحس فى اعماق صدرها أنه ليس بمحال. أتراها

وفقت الى العثور على ذلك الحجر العزيز : حجر الفلاسفة فأمست قادرة على أن تحيل الخسيس نفيسا ، والدنىء رفيعا ؟

كلا ! ان ليلى لن تحاول أن تنال بغيتها عن طريق المعجزات ؛ بل لقد رأت فى أمر زوجها رأيا ، حسبته رأيا سديدا ، وكان وليد تدبير طويل ، وتفكير عميق .. رأت أن أحمد تعوزه الرجولة ، فى مظهره ومخبره ، فى جسده وفى روحه ، فى حركاته وتفكيره . وقد علمت أن ليس اصلاح الروح بالشىء اليسير ؛ لكنها تستطيع — على الأقل — أن تكسبه مظهر الرجال . فلتأمره اذن — وهو لها طيع ذلول — أن يلبس الخشن من الثياب ؛ وأن ينعل الخشن من الأحذية ؛ وأن ينطلق الى ضيعة ابيها فيقيم هنالك شهرين أو ثلاثة أشهر ؛ يعمل فى حقولها كل يوم ، حارثا وزارعا وحاصدا ، وعليه أن يرسل لحيته وشاربه حتى يغطى الشعر وجهه ... ثم يعود اليها بعد ذلك ، وقد لبس حلة الرجولة سابغة شاملة : فمن يد خشنة الملمس ، الى ذراع قوية متينة ؛ الى وجه قد لوحته الشمس يكسوه شارب طويل ولحية مرسلة . أما صوته الناعم الفاتر ، فلا بد أن يكتسب شيئا من الخشونة من كثرة ندائه للثيرة ، وصياحه خلف المحاريث

وكانت ليلى تعلم أن هذه كلها ظواهر ، ليس فيها نفع ولا غناء ، ولكنها كانت مؤمنة بان اصلاح العرض سيفضى الى اصلاح الجوهر ، واصلاح الاناء وسيلة لاصلاح الشراب ؛ وأن أحمد لا يلبث ان يكتسب مظهر الرجولة ، حتى تتسرب بعد ذلك الى لحمه ودمه بفضل مابين الروح والجسد من رباط متين .

وأحسبها قد اقتبست هذا الرأى من بعض مادرسته من فلسفة وحكمة ؛ لكنها كانت أشد ايمانا به من الحكماء الذين قالوا به . وما هى الا أيام قلائل حتى مضت فى تنفيذه . فانطلق احمد الى الريف وبقيت ليلى وحدها الليالى والأيام ترقب دورة الفلك ؛

والشمس مابرحت فى السماء تجرى لمستقرلها ، والأرض ما فتئت تدور حول محورها المائل المنحرف ...

* * *

وفى مساء يوم عبوس متجهم من أيام أمشير ؛ تلبدت السماء بسحاب أسود قاتم ، وكان يعدو من المغرب الى المشرق : طبقات بعضها فوق بعض ؛ تحمله فى السماء ريح عاصف .. وعلى الأرض زعزع نكباء تثير الموج على صفحات النيل ، وتهز جذوع الصفصاف هزا عنيفا ، وقد ثارت الزوابع تحمل العثير المطار الى كل عين وكل انف .. ومشت ليلى نحو النافذة فأغلقتها فى بطء شديد وحزن شديد ، مطأطئة رأسها فى كآبة وكمد . ثم سقطت على سرير ممدود وجعلت تسفك العبرات وتعول بالبكاء .. بصوت لولا دوى الريح لأسمع من بالدار . وما أشد حاجتها فى ذلك المساء الى الوحدة والى البعد عن الناس والى البكاء تطفىء به ذلك الجحيم المستعر فى صدرها وفى أحشائها !

مسكينة ليلى ! ان فلسفتها قد خابت ، وتجربتها قد فشلت ! وكل هذا التقدير والتدبير والسعى والاحتيال لم يصادف الا حبوطا أليما ، وخيبة قاتلة . ان الداء كان عضالا ، والسم قد سرى الى الرأس والأوصال ، والعرق والعصب ، فاستفحل واستمكن ، ولات حين علاج ، ولات حين شفاء ...

واختلط الحزن فى قلبها ، والح عليها من كل جانب ، فليس يدرى أى خطبيها أشد وأقتل : فشل تلك التجربة وذلك الرأى السديد الذى حسبته زبدة الحكمة وخلاصة الفلسفة ، أم كارثتها فى هذا المخلوق الذى بات حتما عليها أن ترضاه ، وهو دون الرضى ، وأن تعتمد عليه فى الحياة ، وهو ذلك الرطب العاجز المائع

لقد فشل تدبيرها فشلا ذريعا ، فان المسكين لم يطق الريف ، ولم يلبث أن اسأمه وأضناه ، فقضى أيامه هناك بين سقم ، وبين الافاقة من سقم ، حتى أشفقت عليه ليلى وأذنت له أن يعود .. أما ذلك الشعر القليل الذى نبت على خديه وشفتيه ، فلم يك الا غشاء رقيقا تافها ، لم يقربه من الرجولة قيد شعرة .

مسكينة ليلى ! ان الرزء الذى رزئته لشديد . ولم يبق لها من وسيلة تتوسل بها سوى الصبر . والصبر أوهى الوسائل .. وما أشد حاجتها لأن يكون لديها من هذه الوسيلة الواهية ذخيرة لا تنفد ، ذخيرة تكفيها العمر كله ... لابد أن يكون فى العالم شهداء يحملون الارزاء ، فلا رأى اليوم الا أن تكون كاحدهم . ولئن كان رزؤها هــــذا من صنع يديها ، فما أحقها بحمله والاضطلاع به .. مدى الحياة !

لقد سخرت منها المقادير ، حين أرتها الحياة حلما زاهيا ، وزهرا نضيرا ، واليوم وقد آن للزهر أن يحول ثمرا و للدوحة أن تؤتى أكلها ، اذا الاقدار تسلط عليها هذا السقم العضال يذويها و يفنيها لم يبق لها بد اذن من ان تودع هذه الأحلام جوف الثرى ، فى غير رحمة ولا هوادة ، وتستقبل هذا العهد الجديد ، عهد الشهداء الصابرين فى قوة وجلد :

لاجرم ان الانتقال الى تلك الحال ليس بالشىء اليسير ، ولكن

العرب والفرس قبل الاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام

سأجمل فى هذا المقال ، مايعرفه التاريخ وترويه الأساطير من الصلات بين العرب والفرس قبل الاسلام ، وعسى أن يكشف التاريخ عن صلات أخرى بين الأمتين ، أو يبين عن حقائق تفسر بعض هذه الأساطير

ويمكن تقسيم الروايات الى قسمين : ماقبل العهد الساسانى وهى أساطير ، وما بعده وهى تاريخ أو قريب من التاريخ

قبل عهد الساسانيين

الأساطير تتفق عليها الكتب العربية والفارسية ، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامة للفردوسى ، ومنها :

١ — أسطورة الضحاك

وإجمالها أن الضحاك هذا كان ابن أمير عربى من امراء اليمن اسمه مرداس تمثل له الشيطان فى صورة شاب صبيح وزين له قتل أبيه فقتله . ثم تمثل له فى صورة طباخ وأعلمه أنه حاذق فى تجويد الأطعمة ، خبير بأصنافها ، فاتخذه الضحاك طباخا له فطبخ له اللحم ، وكان الناس من قبل لايأكلونه ، فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التى قدمها له طباخه فقربه وركن اليه .

ثم سأل الطباخ سيده أن يأذن له فى تقبيل كتفيه ، فقبلهما ثم ساخ فى الأرض فلم يعرف أثره، ونبت على منكبي الضحاك سلعتان كانهما حيتان ، فذعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهتدوا فى أمرهما الى دواء ، وكان الضحاك يحس لهما وجعا . فتمثل الشيطان فى صورة طبيب وأشار على الامير أن يطلى السلعتين بأدمغة البشر ، ففعل وسكن الألم ، فدأب على ذلك لايستريح الا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماغهم حيتيه .

وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبر وادعى الألوهية ، ففزع الفرس الى الضحاك يستغيثونه ، فسار اليهم فى جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله . ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد ودعا الناس الى تمليك أفريدون. وحارب أفريدون الضحاك فهزمه ، ثم أخذه فقيده وسجنه على جبال دماوند . ويقال ان جاوه الحداد حينما أزمع الثورة أخذ الجلدة التى كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها فى عصا وجعلها علم الثورة ، واتخذها الفرس من بعد لواء مقدسا سموه « العلم الجاوى » (درفش كاويانى)

واذا نظرنا الى تواريخ الشهنامة وجدنا الضحاك يتملك على ايران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة : وذلك يوافق عهد الدولة البابلية . فان كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهى تسلط الساميين على ايران . ويؤيد هذا أن كتاب الأبستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بورى وهى بابل ، وكذلك نجد فى نزهة القلوب للقزوينى أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمروذ

وقد أشار الى قصة الضحاك ابو تمام اذ قال :

ما نال ما قد نال فرعون ولا ... هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته ... بالعالمين وأنت أفريدون

وافتخر أبو نواس بالضحاك فى قصيدته التى يفخر فيها بقومه القحطانيين:

وكان منا الضحاك يعبده الـ ... خابل والجن فى مساربها(١)

٢ — وفى الشاهنامة وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوج أبناءه الثلاثة (تورا) و(سلما) و(ايرج) من ثلاث بنات لملك من ملوك اليمن ، وافريدون عند الآريين يشبه نوحا عند الساميين ، نسل من ابنائه الثلاثة خلق كثير، فتور ابو ملوك توران، وايرج ابو ملوك ايران وسلم أبو ملوك الروم ، فالمصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من بنى أفريدون

٣ — وكذلك نجد فى الاساطير الفارسية أن مهراب ملك

(١) انظر فصل الضحاك فى الشاهنامه وتعليقاتها

لعل اسابيع تقضيها — هى — فى الريف ، فى عزلة وتفكير ، ان تعدها لهذا العهد الجديد ، هذا العهد القاسى الشديد .

ونهضت متماسكة من سريرها . وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على كرسى صغير بجانبها . . . وجعلت تنظر إلى الغيث وقد أخذ ينهمر مدرارا ، والى الرياح وهى تميله يمينا وشمالا . .

ثم أخذ ينهمر على خديها مطر « غزير » لم يكن مما أسقطه السحاب ، أو دفعته الرياح . . .

والشمس من خلف الأفق تجرى لمستقرلها ، والارض ، مابرحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

فيا عجبا لهذا الكوكب السخيف ! كيف آثر الانحراف على الاعتدال ، والميل على الاستقامة ؟

محمد عوض محمد

كابل فى عهد الملك منوجهر عربى من نسل الضحاك، وأن (زال) بن سام تزوج بنت مهراب فولدت له رستم بطل أبطال الفرس، فرستم اذن له خؤولة فى العرب

٤ — ومن الروايات التى هى أقرب الى التاريخ مما تقدم حرب كيكاوس وملك هاماوران (حمير) وأسر كيكاوس فى بلاد اليمن، وتنازع أفراسياب ملك التورانيين والعرب على ملك ايران، ثم ذهاب رستم الى اليمن وتخليص كيكاوس. ويقول أبو نواس فى القصيدة التى ذكرتها آنفا.

وقاظ (١) قابوس فى سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها

وكان كيكاوس، فى القرن العاشر قبل الميلاد فى حساب الشاهنامه.

وفى بعض الكتب العربية أن ملك اليمن اذ ذاك كان ذا الأزعار ابن أبرهة ذى المنار بن الرائش

٥ — ومما تقصه الروايات فى هذا العهد عهد الكيانيين الحرب بين داراب وبين رجل عربى اسمه شعيب بن قتيب. وداراب هذا هو، فى غالب الظن، داريوس أخوس (٤٢٤ — ٤٠٤ ق م)

وأعظم الحوادث فى عهد الساسانيين وهو أقرب الى التاريخ وكثير من حوادثه واقعات تاريخية:

ب — بعد عهد الساسانيين

١ — قصة سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م) وملك الحضر، وهو الضيزن بن معاوية القضاعى، أو الساطرون كما فى بعض الكتب. وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته، فسار سابور اليه وحاصر الحضر حتى استولى عليه بخيانة بنت الضيزن.

والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلا من دجلة نحو الغرب ازاء تكريت، وعلى مائتى ميل الى الشمال من بغداد. ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها. ويقول الهمذانى فى كتاب البلدان:

«كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها، وكان فيها ستون برجا كبارا. وبين البرج والآخر تسعة صغار»

ويقول ياقوت:

«فاما فى هذا الزمان فلم يبق من الحضر الا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله.» وقد حاصره الامبراطور تراجان وسفريوس فلم يقدرا عليه.

(١) قاظ بالمكان أقام به

وقد روى ياقوت فى قصة الحضر شعرا لعدى بن زيد والأعشى وروى الطبرى شعراً لأبى دؤاد الايادى (١)

والشاهنامة تجعل الواقعة فى زمن سابور ذى الأكتاف وتخلط بعض الحادثات ببعض.

٢ — ومن ذلك ماوقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضا: فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفراً من حرب فلريان أمبراطور الروم، فانهزم الجيش الفارسي وتعقبه أذينة الى أسوار المدائن، وقد اغتبط الروم بما فعل أذينة فاثابوه ولقبوه «اغسطس»

٣ — ومنه قصة سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩) والعرب.

يروى أن بعض العرب أغار على بلاده فحاربهم فى خوزستان ثم عبر الخليج الى البحرين وهجر واليمامة، ثم سار الى الشمال فحارب بنى بكر وغيرهم، وأنزل بعض القبائل غير منازلهم:

أنزل بنى تغلب بدارين والخط

وبعض بكر بصحارى كرمان

وبعض عبد القيس وتميم فى هجر واليمامة

وبنى حنظلة بالصحارى التى بين الاهواز والبصرة

ويقال انه سمى ذا الاكتاف لأنه خرق أكتاف الأسارى من العرب ونظمهم فى الحبال

— وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما اياد وبين سابور بن سابور ذى الاكتاف. ذكر بعضها المسعودى فى الجزء الاول من المروج. وفيها يقول بعض الشعراء:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اياد حولها الخيل والنعم

ويقول الحارث بن جنده (الهرمزان):

هم ملكوا جميع الناس طرآ وهم ربقوا هرقلا بالسواد

وهم قتلوا أبا قابوس عصبا وهم أخذوا البسيطة من اياد

وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما ربيعة التى كانت تسمى ربيعة الأسد لجرأتها على الأكاسرة

٤ — والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة الساسانية فى القرن الثالث الميلادى ليست فى حاجة الى البيان، فحسبي أن أذكر من الحوادث مايبين عن مكانة المناذرة فى دولة الفرس وقوتهم:

عهد يزدجرد (٣٩٩ — ٤٠٢) الى المنذر الاول بتربية

(١) انظر ياقوت. الحضر، والطبرى: سابور:

ابنه بهرام فنشأ فى الحيرة حتى بلغ الثامنة عشرة ، وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل فى الرمى بالنشاب ، ثم رجع الى ابيه فغلبه الشوق الى الحيرة ، حتى توسل برسول ملك الروم الى ابيه ليأذن له فى العودة الى الحيرة فبقى بها حتى توفى يزدجرد . وازمع اعيان الفرس الا يولوا من بنى يزدجرد احداً . فأيد المنذر وابنه النعمان بهرام وامداه بالجند حتى ارغما الكارهين على تمليكه .

وفى روايات الأدب الفارسى أن بهرام هذا أول من شعر بالفارسية ، أخذ الشعر عن العرب . وفى كتب الأدب شعر فارسى مروى عن بهرام ،وكذلك تروى الكتب العربية شعراً عربياً كما روى المسعودى فى المروج :

أقول له لما فضضت جوعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فانى حامى ملك فارس كلها وماخير ملك لايكون له حامى

ويروى المسعودى أبياتا أخرى ويقول : « وله أشعار كثيرة بالفارسية والعربية أعرضنا عن ذكرها فى هذا الموضع طلباً للايجاز .

وقد حارب المنذر الرومان انتصاراً للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م ، وكذلك حاربهم المنذر الثالث ابن ماء السماء وتعقبهم الى أنطاكية حتى استنجد جستنيان الحارث الأعرج الغسانى ، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابناً للحارث فقربه للعزى (صنم) وانتهت بقتل المنذر فى موقعة عين أباغ أو يوم حليمة .

٥ — وفى عهد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بفتنة مزدك أغار الحارث بن عمرو الكندى على الحيرة وأخرج منها المنذر ابن ماء السماء ، وصادف ذلك هوى فى نفس قباذ فأيد الحارث. ويروى انه أرسله لحرب أحد تبابعة اليمن ،فلما ولى كسرى أنوشروان رد امرة الحيرة الى المنذر .

٦ — وفى عهد كسرى برويز حوالى ٦١٠ م كانت موقعة ذى قار، وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس ، وطلب ودائعه عند هانىء بن مسعود الشيبانى فأبى اسلامها ، وكان كسرى قد ولى اياس ابن قبيصة الطائى على الحيرة . فسار اياس فى جموع من الفرس والعرب: طىء وبهراء واياد وتغلب والنمر ، فلقيهم بنو شيبان فى جموع من بكر ، ووقعت الحرب وتمادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذى قار ، ودارت الدائرة على الفرس وأنصارهم.

وفى يوم ذى قار يقول ابو تمام يمدح ابا دلف الشيبانى :

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها
وزادت على ماوطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ويقول مادحا يزيد بن مزيد الشيبانى :

أولاك بنو الافضال لولا فعالهم
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب
لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد
وحيد من الاشباه ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم أنه
به أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو المشهد الفرد الذى مانجا به
لكسرى بن كسرى لاسنام ولاصلب

هذه صلات الفرس وعرب الشمال . وكان للفرس مع هذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقى واليمن :

حاول الحبش الاستيلاء على اليمن فى القرن الثانى الميلادى واتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه فى القرن الثالث ،ثم أخرجهم الحميريون، فلما تنصر الحبش فى القرن الرابع أيدهم الرومان على الحميريين ففتحوا اليمن سنة ٣٧٤ . ويظهر أن الفرس طمحوا الى اليمن منذ ذلك الحين ، فقد كان النزاع الذى شجر بينهم وبين الروم منذ قامت الدولة الساسانية حريا أن يلفت الفرس الى اليمن بعد أن تألب عليه أعداؤهم الألداء والحبش . ولسنا ندرى من أخبار الفرس فى اليمن شيئا قبل القرن السادس الميلادى اذ تهود تبع ذونواس وأكره النصارى على التهود وعذبهم ، فغضب لهم الروم والحبش وأمد الامبراطور جستنيان الحبش وسلطهم على اليمن ، حتى استغاث سيف بن ذى يزن كسرى انو شروان فأمده بجيش حملته السفن فى الخليج الفارسى الى عمان ، ثم سار فى البر وانحاز اليه أهل اليمن فهزموا الجيش ، وتولى الفرس البلاد وجعلوا عليها أميرا عربيا فقتله حرسه الحبشى فاستقل بأمر البلاد ولاة من الفرس توالوا عليها حتى جاء الاسلام والوالى يومئذ باذان . وقد أسلم الفرس فى اليمن وأخلصوا للاسلام وكانوا عونا على الثائرين فى حروب الردة وهم قتلوا الأسود العنسى ، وعرف من رؤسائهم النعمان بن بزرك وفيروز الديلمى ومركبود ، وهو أول من حفظ القرآن فى صنعاء فيما يقال .

وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاء الاسلام وفى اليمن فرس مستوطنون ومرزبان اسمه سيبخت ، ويروى أن الرسول

سـؤال . .

ــ الى الاستاذ الزيات والى ادباء الرسالة ــ

سيدى الأستاذ

انى ــ وان لم أتشرف بمعرفتك ــ أمت اليك بصلة الرحم. فانا من صغار أسرة أنت من كبارها . ولى عليك حق الصغير على الكبير. يسأله ويفيد منه . ويلح فى هذا السؤال ويناقش من أجل هذه الفائدة . ويكون فى سؤاله ومناقشته . واقفاً عند حد الأدب . متنكباً سبيل التكلف و (الرسميات) .

أفتأذن لى فى ذلك :

اذن فأخبرنى ياسيدى . هل تنشر الآثار الأدبية ، أذ تنشرها فى رسالتك ،لانها وافقت خطة معروفة اختطتها لنفسها الرسالة فى الأدب ، وطريقة معينة اتخذتها ، أم أنت تنشر كل جيد يبعث به اليك ، لاتبالى منه الا بشرف القول ، وحسن الأداء ، والبلاغة فى التعبير عن الغرض ــ وهل تفعل هذا الى أمد قريب ثم تطلع على الناس بخطتك الادبية ، وتحمل كتابك عليها ، أم أنت تفعله أبداً ؟ ــ ثم ــ ألا ترى ياسيدى أن الأدب العربى قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص. ويكون له عند أهله بكل خطوة حظوة وان الايمان به قد خالط قلوب الادباء . فلم يعودوا من المؤلفة قلوبهم الذين يسترضون ويعطون لئلا يجنحوا الى الردة بعد الايمان ؟ وأن من مصلحة هذا الادب . بل من الواجب فيه أن يتفق طائفة من شيوخه وقادته على مذهب واحد فيه . ثم يعلنوا هذا المذهب للناس . ليتبعوه ويؤثروه ؟

ومذاهب الادب كثيرة . ولكنا منها بين اثنين : مذهب (الأدب للفن) ومذهب (الأدب للحياة) :

انعمل وغايتنا (الجمال الفنى) وحده ، وسواء لدينا أ كان هذا الجمال فى قطعة ماجنة ، أم فى قصيدة شعوبية ، أم فى مقالة ملحدة ؟ وسواء لدينا أ كانت القطعة الجميلة تصور آ لام النفس وآمالها ، وصور الحياة واشكالها ، فتصدق فى هذا التصوير . ام (تخلق) من نفس صاحبها دنيا غير هذه الدنيا . وعالما غير هذا العالم ؟

ام نعمل وغايتنا تسخير الادب للقضية الكبرى ، واتخاذه عدة على تحقيقها ،ووسيلة من وسائل الاصلاح الاخلاقى والسياسى والاجتماعى . وبالعبارة الثانية وسيلة الى الحياة ؟

* * *

ثم . . . الا ترى يا سيدى ان هناك حقيقة اسمى من الحقيقة الفنية . وواجبا اعلى من واجب الفن هو الواجب الوطنى . واجب (السعى للحياة وخوض معركة التنازع على البقاء) وانه لايجوز لنا ان نقول بمقالة بعض الفرنجة (الفن للفن) لان هذا هو القياس مع الفارق .

فان لأولئك مدافع واساطيل ، وان لهم كياناً واستقلالا ، ونحن قوم يبنون لأنفسهم كيانا واستقلالا ، فيجب ان نجمع قوانا كلها على هذا البناء ، وان نجعل الادب فى مقدمة هذه القوى، ونجعل الحوادث القومية موضوعا لآثارنا ، او لطائفة من آثارنا الادبية

وكيف لعمرى يهيج الشاعر العربى ويضيق الدنيا عليه حبيب يعرض عنه ، وليلة وصل يخسرها ، وابتسامة تحتجب عنه نورها، ولا يهيجه ويؤلمه مجد كان ينطح السماء انهار فى الاندلس ، وامل كان يملأ الدنيا ضاع فى بواتيه . وأمة بقضها وقضيضها تفنى اليوم فى فلسطين . ! ؟

ايجوز للشاعر وهو قلب الامة الخافق ان يعيش فى نفسه ،

الله عليه وسلامه كتب اليه فاسلم،وكان لفيروز المعروف بالمكعبر زعامة فى حروب الردة هنالك .

وكانت التجارة تتردد بين بلاد الفرس واليمن فى خفارة قبائل لها جعل من ملوك الفرس : قال صاحب الأغانى فى الحرب التى كانت بين بنى تميم والفرس وأحلافهم : « واما ما وجد عن ابن الكلبى فى كتاب حماد الراوية ،فان كسرى بعث الى عامله باليمن بعير، وكان باذان على الجيش الذى بعثه كسرى على اليمن ، وكانت العير تحمل نبعا فكانت تبذرق (١) من المدائن حتى تدفع الى النعمان ويبذرقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن على الحنفى فيبذرقها حتى يخرجها من أرض بنى حنيفة ثم تدفع الى سعد (من تميم) وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعونها الى عمال باذان باليمن » (٢)

هذا خلاصة ما يرويه التاريخ والأساطير ، ولعله يكون مقدمة لبحث واسع مفصل فى صلات الأمتين العظيمتين قبل الاسلام ؟

(١) البذرقة : الخفارة(٢) ١٦ ص ٧٥

ويقنع باحلامه وعواطفه ؟ ايعقل ان يعيش قلب منفردا مبتوراً لا تربطه بالجسد رابطة ؟

الشاعر قائد فى أمته،فهل يجوز للقائد ان يدع جنده، ويترك حربه ، ويغفل عن النار والحديد . ثم يجلس ليحلم بطيف حبيبه .أو يبكى على انه لم يمنحه جسمه ساعة من زمان . أو يجلس ليصف (الجمال الفنى) فى ساحة المعركة ؟ . .

الأمة العربية جمعاء فى نضال على الحياة . فكيف يفر الأديب من المعركة فيصب وهو الجندى الاول فيها مواهبه وقوته على قدمى امرأة ؟

او لست تعلم ياسيدى ان زعماء الفن الرومانطيقى فى اوربا كهوجو ولامارتين ، كانوا فى رأس الوطنيين العاملين ، والخطباء المفوهين ، وكانوا اذا جد الجد شمروا عن ساعد العمل ، واذا امن الناس ووضعت الحرب اوزارها ناموا فحلموا ، فكان هذا الادب مجموعة احلامهم فى منامهم ؟ان لامارتين نفسه يقول :

(ما قيمة الرجل ينفق عمره ، فى التنقل بين احلامه الشعرية فى حين أن اخوانه يجاهدون بكل ما اوتوا من قوة وايد فى سبيل الوطن والعمران ؟ اليس اليق بمثل هذا ان يكون ضحكة « مهرجاً » وان يبعث به مع العدد الموسيقية الى الفرق العسكرية) ؟

وان الشعر القومى ابعد الشعر اثراً فى نفس قارئه ، لان الشعور به مشترك بين افراد الامة جميعا ، واننا لهذا نقرأ القصيدة الاندلسية النونية فتبلغ منا على ضعف تأليفها ما لا تبلغه منا أى قصيدة ؟

فلماذا اذن لا ينحو بعض ادبائنا هذا المنحى ، ويكون لنا ديوان فى الادب القومى ، كما للفرنسيس ديوان ، وللانجليز ديوان ، وللاتراك ديوان ، ولماذا لا ننبذ هـــذا الأدب الرخو المخدر الذى ينزع الرجولة من نفوس شبابنا ويجعل المثل الاعلى للحياة فى آرائهم ، ان ينفقوا الحياة فى عبادة امرأة يعشقونها ، او يتخيلون انهـــم يعشقونها . ويقطع باساليبه الاعجمية العجيبة الصلة بيننا وبين ادبنا القديم ، ويضيع علينا هذا التراث القيم الذى تظاهرت على ايجاده ثلاثة عشر قرنا ؟ ولماذا لا يجهر الشيوخ والمصلحون فى الادب العربى ، بالدعوة الى (الادب القومى) وينقذوننا من هذا الادب المخدر السام ؟ ولماذا لاتكون انت فى الرسالة صاحب هذه الرسالة ؟

* * *

ثم . . . الا ترى ياسيدى ان هذا الضعف والخور فى غزلنا سخف ماله مبرر،وان المرأة والرجل انسان واحد ، كلاهما فيه عنصر القوة وعنصر الانوثة ، والحب جامع العنصرين . فالرجل يحب ليكمل قوته بانوثة المرأة .اى انه يحب انوثتها وهى تحب قوته، فاذا اضاع هذه القوة ، ولم يحظ بانوثة المرأة ، لم يكن رجلا ولا امرأة ، ولكن مخلوقا شيطانيا بغيضا ،وكان كالغراب والقبرة ، او (كصاحبة الماء) لا هى ابقت ماءها . ولا هى اصابت طهرها!!

وما بالرجل يحب من بأس ، ولكن على ان يظل رجلا يقوم على قدميه ،ويدل بعضلات من حديد وارادة من فولاذ ، وأمل فى الحياة يملأ الحياة ، ثم يقول لمن يحب : انا قوى وانا احبك فتعالى !الا ان يجيئها ضعيفا مسهدا.

والمرأة لو خيرت لما اختارت على الرجل القوى الحى بآمله ولمستقبله الرجل الاصفر النحيل الباكى اليائس الميت من قبل الممات . هذا خليق به القبر وذاك الذى يستحق الحياة

فلام اذن يثابر شعراؤنا على هذا الغزل السخيف ، ويغنى مغنونا به ويكون لجيل المستقبل سما زعافاً ؟ . .

* * *

هذه هى القضية التى جئت استفتيك فيها . واستفتى ادباء الرسالة ؛ وانى لاعتقد انها من الخطر بالمكان الاسمى . وبين لا ونعم فيها فرق ما بين الحياة والموت ؛ لان الادب كالسيف القاطع ، شتان بين ان تضرب به لترى وميضه فى الجو و (الجمال الفنى) فى هذا الوميض ثم ، لا تبالى اذراعك اصاب فقطع ، ام هو قد اصاب الجدار ، وبين ان تجلل به خصما لك فاتكا ، او وحشاً كاسراً . على ان هذا ضرب وذاك ضرب وهذا ادب وذاك ادب . . .

فاذا تفضلتم يا سيدى بنشر هذه الرسالة فى الرسالة وتفضلتم بالجواب كان لكم الفضل والشكر .

دمشق　　　　على الطنطاوى

ليسانسيه فى الحقوق ومن (المجمع الادبى)

(الرسالة) يسأل الأستاذ الفاضل أتنشر الرسالة ماتنشر من الأدب لأنه يسير فى طريقها المرسومة الى غايتها المعلومة ، أم تنشره لأنه امتاز بشرف القول وبلاغة العرض وحسن الأداء ، ثم يصوغ هذا السؤال نفسه صيغة فنية فيقول : نعمل وغايتنا (الأدب للادب) أم نعمل وغايتنا (الأدب للحياة)؟ ثم حصر حياتنا اليوم فى النضال

المقدس عن القضية العربية الكبرى ، وانحى باللائمة على شعرائنا الغزليين الذين غلبت على طباعهم الميوعة فذابوا على اقدام الغيد ، وتركوا جيش الجهاد يسير من غير موسيقى ! ثم شرح الأستاذ اسئلته بطائفة من الآراء الحماسية يدعو بعضها الى جدال طويل

أما خطة الرسالة وغايتها فلعل الأستاذ يذكر أننا رسمناها فى استهلال العدد الأول منها ، وما نشرنا ولن ننشر الا مايساير هذه الخطة ويقابل هذه الغاية بوجه من الوجوه . نقول بوجه من الوجوه لأن القول بأن : (يتفق طائفة من شيوخ الأدب وقادته على مذهب واحد فيه ، ثم يعلنوا هـذا المذهب للناس ليتبعوه ويؤثروه) قول تأباه الطبيعة وتنكره أصول الفطرة مادام الأدب بمعناه الأخص هو التعبير الجميل عن العواطف والأخيلة والأفكار . وذلك التعبير يختلف بالضرورة فى كل كاتب باختلاف تربيته وبيئته وطبيعته وذوقه . وفى ظننا ان تحديد الغاية من الأدب وتوحيد الطريق الى هذه الغاية لا يدخلان فى حدود الامكان الا اذا استطعت ان توجه أهواء النفوس فى متجه لاتتنكبه ، وتحصر خواطر الذهن فى مضطرب لاتعدوه

وأما (إن الأدب العربي الحديث قد شب ولم يعد طفلا يدلل ويرقص) فرأى يخامرنى فيه كثير من الشك ، لان أدبنا لا يزال يطلب من النقد ان يهدهده كالأم ، ويربت على ظهره كالأب ، فاذا حذره مزالق الهوى والطيش ، بشيء من الجد صاح وأعول ودبدبت رجلاه فى الارض ، وراح يرسل السباب ويعلن الشكوى فى غير سداد ولا فطنة

هذه جملة قصيرة من الجواب عجلنا بها اليك مساسها بخطة الرسالة . أما سائر الجواب فستقرأه مفصلا فى العدد المقبل ؟

الصهيونيــة
نشأتها وتطورها

١ ــ قبل عهد بلفور

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لفتت حوادث فلسطين الأخيرة أنظار العالم مرة أخرى الى ذلك النظام السياسى الاجتماعى الغريب الذى فرض على فلسطين تحقيقا لمشاريع السياسة الاستعمارية . ففى فلسطين أمة عربية تعيش فى ذلك الوطن منذ آماد بعيدة ، ولكنها تجد اليوم نفسها أمام خطر داهم على كيانها القومى ، وترى اليهودية تمكن من غزو هذا الوطن بطريقة منظمة مستمرة ، تنفيذا لعهد قطعته بريطانيا العظمى على نفسها ابان الحرب الكبرى ، بأن تعاون على انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين

وفكرة الوطن القومى اليهودى قديمة ترجع الى العصور الوسطى . ولكنها لم تكن فى تلك العصور التى كانت بالنسبة لليهودية « عصرها الحديدى » أو عهد الاضطهاد الشنيع أكثر من مثل أعلى أو أمنية مقدسة غامضة . ولكنها منذ القرن الثامن عشر تغدو نظرية سياسية اجتماعية ترمى الى غايات عملية . وكان أقطاب اليهودية فى ذلك العصر وعلى رأسهم رجال ممتازون مثل مندلزون ولسنج(١) يرون أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى . ولكن هذه القومية المعتدلة التى املى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة القديمة على قوتها وتألقها . ومنذ اوائل القرن التاسع عشر نجد يهود انكلترا يعملون على تقويتها وتلمس السبل لتنفيذها بالدعوة الى احياء التراث اليهودى وانشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين . ومن ذلك الحين تتجه اليهودية ببصرها الى فلسطين ؛ وتتكرر جهودها لاقناع السياسة البريطانية بامكان قيام وطن قومى يهودى فى فلسطين تحت الحماية البريطانية، وان قيامه يغدو ضمانا قويا لتأمين طريق الهند البرى

١ ــ موسى مندلزون ١٧٢٩ ــ ٨٦ فليسوف و كاتب يهودى المانى كبير . ولسنج ١٧٢٩ ــ ٨١ كاتب مسرحى ونقادة يهودى المانى

وهنا تتخذ فكرة القومية اليهودية صبغة سياسية واضحة ؛ وتبدو الفكرة الصهيونية فى شكلها الحديث . والصهيونية هى القومية اليهودية . اشتقت من « سيون » العبرية او صهيون وهى الاكمة او المعقل . وقد أطلقت اولا على موقع التل الذى بنى عليه الهيكل ثم أطلقت على بيت المقدس ؛ ثم على الامة اليهودية كلها ، وتراثها الروحى ؛ واصبح معناها الحديث عود القومية اليهودية واستردادها لتراثها الغابر . وبهذا تفهم الصهيونية فى عصرنا ولهذا تعمل

واذا فالصهيونية الحديثة ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر. وفى هذا الحين نفسه تلقى الصهيونية مادتها وقوتها : ذلك ان خصومة السامية أو نزعة التعصب ضد اليهود قد اضطرمت يومئذ بفورة جديدة فى معظم الدول الاوربية ، واسفرت عن مذابح مروعة فى روسيا والمجر . وعصفت باليهود فى المانيا ثم عصفت بهم فى فرنسا حيث بلغت الحركة ذروتها فى قضية دريفوس الشهيرة (سنة ١٨٩٦) . ورأت اليهودية انها رغم حصولها على الحقوق المدنية والسياسية فى معظم الدول الغربية ، مازالت عرضة للبغض القديم الذى اصبح تقليدا راسخا فى المجتمعات الغربية . عندئذ بدت فكرة الوطن القومى اليهودى ضرورة يجب تحقيقها لخير اليهودية وسلامها . وأخذ اقطاب اليهودية يعملون على اذاعة الفكرة واتخاذ الخطوات العملية الاولى فى سبيل تحقيقها . فالفت جمعية لانشاء المستعمرات اليهودية وزودت بالمال . وبدأت مساعى الماليين اليهود لدى الباب العالى لانشاء هذه المستعمرات فى فلسطين . ثم لقيت الفكرة روحها المضطرم فى كاتب يهودى نمسوى فتى هو تيودود هرتسل . وقد ولد هرتسل ببودابست سنة ١٨٦٠ ، وظهر فى الصحافة والتأليف المسرحى ، وظهر بالاخص بكتاباته القوية الملتهبة فى سبيل القضية اليهودية . وكان هرتسل يرى ان الوطن القومى ضرورة لليهودية لأمنية فقط ، وفى سنة ١٨٩٦ اخرج رسالته الشهيرة « الدولة اليهودية » Die Judenstaat: يعرض فيها فكرة الوطن القومى عرضا قوياً ، ويرى ان يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية فى فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالى وتؤدى له الجزية وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ، فكان لدعوته وقع عظيم فى اليهودية باسرها ، وايده اقطاب المفكرين اليهود مثل مكس نورداو واسرائيل زنجويل (١) وغيرهما . وكانت اليهودية على أثر ماعانته من اضطهاد الخصومة السامية فى معظم البلاد تتحفز يومئذ للذود عن نفسها ، وتستجمع جهودها للقيام بحركة ايجابية منتجة . وسرعان ماانتظمت هذه الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته ، وفى اغسطس سنة ١٨٩٧ عقد مؤتمر يهودى عام فى بازل (سويسرا) برآسة هرتسل وفيه وضع برنامج الصهيونية الرسمى وعرفت غايتها ووسائلها على النحو الآتى :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى انشاء وطن فى فلسطين ، يتمتع بالضمانات التى يقررها القانون العام، ولكى يمكن تحقيق هذه الغاية ، يرى المؤتمر الوسائل الآتية :

(١) ان يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع التشجيع الواجب

(٢) ان ينظم العالم اليهودى باسره وان يحشد فى الجماعات المحلية او العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) ان تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعى التمهيدية اللازمة للحصول على التصريحات الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية »

ثم توالت المؤتمرات الصهيونية فى كل عام وبدأت مساعى اليهودية العملية واتصل هرتسل بالباب العالى ، فاظهر نحو الفكرة ميلا فى البداية باعتقاد أن تأييدها يكسبه نفوذا جديدا ، حاول أن يجعل من ذلك وسيلة لحل المسألة الارمنية بشروط عرضها على اليهود الانكليز . ولكنه اخفق فى هذه المحاولة . وزار هرتسل السلطان عبد الحميد فى سنتى ١٩٠١ و ١٩٠٢ فآنس منه اعراضا واخفق فى سعيه . فاتجه هرتسل الى انجلترا وعرض أن ينشأ الوطن القومى اليهودى فى أية منطقة من البلاد الواقعة تحت النفوذ البريطانى ، واقترحت خلال ذلك منطقة سيناء المصرية ثم منطقة فى الشرق افريقيا البريطانى . ولكن أغلبية المؤتمر الصهيونى (سنة ١٩٠٣) رفضت فكرة التحول عن فلسطين الى غيرها وعدتها تراجعا وهزيمة للفكرة القومية الاهلية ، ثم توفى هرتسل سنة ١٩٠٤ فى عنفوان قوته وجهوده فكانت وفاته ضربة قوية للحركة الصهيونية . ولم تجد الحركة من بعده مدى اعوام من يقودها بمثل قوته ونفوذه . وتزعمها مدى حين فولفزون المالى الالمانى ، واسرائيل زنجويل الكاتب الانكليزى ، وجددت المساعى لدى الباب العالى ، ولكن اضطراب الاحوال السياسية فى تركيا حال دون كل مسعى .

---

(١) ماكس نورداو طبيب وفليسوف ونقادة يهودى كبير ولد ببودابست سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٢٦ ؛ واسرائيل زنجويل كاتب وقصصى انجليزى يهودى (١٨٦٤ ـ ١٩٢٦)

وجددت المساعى لدى انكلترا. واقترحت اثناء ذلك برقة أو الجزيرة فى العراق لتكون مركزا للوطن القومى، ولكن هذه المساعى اخفقت ايضا ففت هذا الفشل المتكرر فى عضد الصهيونية. وخبت حماستها، فترت جهودها حتى نشوب الحرب الكبرى

وفى اثناء الحرب سعت اليهودية الى غايتها بجد ومثابرة، وقدمت الى الحلفاء كل معونة ممكنة فامدتهم بالقروض المالية، والفت فرق يهودية عسكرية تحارب الى جانبهم. وتولى الزعماء اليهود: لورد روتشيلد والدكتور ويزمان ومسيو سوكولوف تنظيم هذه الحركة والسعى لدى دول الحلفاء وبخاصة انجلترا فى تحقيق مشروع الوطن القومى، واسدى الدكتور ويزمان، وهو علامة كيمائى ومخترع بارع الى انجلترا اثناء الحرب خدمات جلية؛ بتولى المباحث الكيمائية فى المعامل الحربية الانجليزية؛ واختراع مادة جديدة للمفرقعات القوية. واسندت اليه منذ سنة ١٩١٧ رآسة الهيئة الصهيونية العالمية. وكانت انجلترا تعد يومئذ هجومها على فلسطين وامل اليهودية يدنو على وشك التحقيق. وكانت فرنسا أول من تقدم من الحلفاء لتأييد مشروع الوطن القومى اليهودى بصفة رسمية؛ ففى ٤ يونيه سنة ١٩١٧ وجه مسيو كامبون وزير الخارجية الفرنسية الى مسيو سوكولوف رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية خطابا يؤكد فيه عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية والوطن القومى، وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدرت الحكومة البريطانية عهدها الشهير بانشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وعرف هذا العهد باسم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية يومئذ؛ وتلى فى مجلس العموم البريطانى فى النصف الثانى من نوفمبر وادمج فى خطاب رسمى وجه الى اللورد روتشيلد كبير اليهودية الانجليزية وهذا نصه:

عزيزى اللورد روتشيلد: يسرنى اعظم السرور ان اوجه اليك باسم الحكومة البريطانية التصريح الآتى بالعطف على الامانى الصهيونية اليهودية وهو تصريح عرض على الحكومة البريطانية واقرته وهو:

«ان حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين: وسوف تبذل مافى وسعها لتحقيق هذه الغاية. ومن المفهوم انه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسى التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر»

للبحث بقية عنان

المقـــبرة البحرية

للشاعر الفرنسى بول فاليرى

تلوت المقال المنشور بعنوان «حول قصيدة» للدكتور طه حسين فأعجبت به اعجابى بكل ماتسطره يراعة استاذنا المفكر، فثارت رغبة نفسى فى الاطلاع على هذه القصيدة المحاطة بالاسرار والتى اختلف النقاد والادباء فى تفهمها. فرجعت الى كتبى التى اعتدت ان اتزود بها فى سفرى، فلم أعثر على القصيدة جميعها ولكننى وقعت على قسم منها لعله يكون «خيرها» لانه أدنى الى الافهام ولعله «أسوأها» ان كانت روعة هذه القصيدة تتجلى فى الغازها وطلاسمها، ولكننى حتى فى هذا القسم الواضح - لم أقع الا على ما تتنازع فى تفهمه الخواطر، فقلت: امر هذه القصيدة غريب عند اصحابها، فكيف عند من يريدون ان يقرأوها مترجمة وكل مترجم قد انتحى ناحية قد لا تجمعه بالآخر الا رموز! ولكن الروعة الغالبة فى القصيدة لاترجع الى الوانها القائمة وصورها الغامضة، وانما تعود الى فنها. وطريقتها التى جاءت بها.

فى القصيدة غموض شامل! وهل كان الغموض سراً من اسرار البيان؟ وهل فى استطاعتنا ان نجعل من الغموض مرادفاً للبيان؟ ولكن هل كان البيان كله مستوعياً للفن كله؟ أليس من الفن الشيء الغامض والشيء المعجب والشيء المثير؟ وهو بعد ذلك كله غامض حد الغموض لايتفتح على النفوس الا بقدر استقرائها واستجلائها للخطوط والالوان.. وهل كان اختلاف الناس فى تفهم القصيدة الواحدة عيبا من عيوبها البيانية ام قيمة رائعة للقصيدة التى يتشعب من فنها فنون ومن سبيلها الواحدة سبل متعددة.

أنا أحب الكتاب الذى يصرع قارئه طوراً وطوراً يصرعه قارئه كما يحبه استاذنا الجليل — واحب القصيدة التى لاتتركنا الا بعد ان تموج انفسنا بشتى اهوائها وميولها، ولكننى لا أحب — ولن أحب — ان يرجى الغموض فى الفن لمجرد الغموض. لأن الأمر لايؤول الا الى فوضى تعمل على تقويض الفن من حيث نحسب اننا عاملون على رفعه.

هنالك آثار فنية واضحة كل الوضوح، ولكن المطلع عليها لايلبث ان يرتد عنها ضيق الصدر مظلم القلب، وهنالك آثار غامضة كل الغموض لاينظر اليها الانسان حتى تملأ نفسه روعة وجلالا.

وتفتح أمامه من لانهايتها لانهاية الوجود . ماسر ذلك ؟ ألعل فى الفن شيئا غامضا غموض النفس ؟ اما تحديدى لهذا الغموض وهذا البيان فهو أمر لا أقدر على ابداء رأيى فيه بعد ان أثبتت الحياة اننا كلما زدنا قيودها اتسعت آماد حريتها . وكلما قبضنا عليها من مكان أفلتت من أماكن . . . وما دام هذا شأن الحياة فليس غريبا ان يكون للفن ايضا مثل هذا الشان ، والفن اسمى مافى الحياة . وانما روعة الفن فى انطلاقه لا فى قيوده .

وأخيراً أخذت هذا الجزء اليسير من القصيدة وآثرت ترجمته برغم غموض معانيه ، مرتقبا من أحد شعرائنا الأفذاذ ان يؤدى نجوى استاذنا الدكتور حق تاديتها ، لانها — فى الحقيقة — كما فكر الدكتور — ستخلق نوعا جديداً فى الشعر يانى على هذه الالوان البالية الباهتة . ويخلق فى الادب العربى هذه المدارس الجديدة الشعرية التى تحمل طياتها البيان الرمزى وغير الرمزى .
وهذه القصيدة نظمها « پول فاليرى » فى مقبرة مشرفة على البحر ، فكانت خطرة فلسفية تأملية ، يصف بها حالة الكون وذاتية العالم المادى الذى يرجع اليه تراب الموتى ، وراحة العالم الراقد فى (اللاشعور) وحالة القلق النفسى الذى يعكر علينا صفاء هذا العالم . مريدا من وراء ذلك أن تأخذ النفس نصيبها من هذه اللحظات المتتالية الحينية .

ولا أدرى أأحسنت العمل أم كنت مسيئا ؟ ولكنها جرأة أريد بها أن أستثير جرأة غيرى ممن هم أمت منى صلة بالقصيدة وصاحب القصيدة ؟

القصـــيدة

. . . انها قدسية ، مغلقةٌ نارها توقد من غير غذاء
خيم الصمت على أرجائها وعلى صفحتها رفّ الضياء

ooooo

سطعت أضواؤها وهّاجة وأثارت فىّ أسباب الطرب
فظلال - كالدجى - ممدودة وقبور رصّعوها بالذهب

oooooo

أرأيت الظل فى أكنافها حيث يرتج على الظل الرخام
وهناك البحر فى غفوته قد ترامى قرب أجداثى ونام

* * *

هاهنا أمواتنا قد جثموا مدفناً أجسادهم هذا التراب
طاوياً أسرارهم فى جوفه ألنشر ينطوى هذا الكتاب؟

oooooo

الوجود ائتلفت أعيانه وتآخت فيه ألوان الصور
واستقرت لكمالٍ ، وأنا قيد تبديل خفيٍ مستمر

* * *

وحياة قد طواها ماطوى وزعوها فى غيابات القبور
جسد يأكله هذا الثرى ودماء هى قوتٌ للزهور

ooooo

أين ذاك الفن فى روعته عند ناس غالهم صرف الزمان؟
أين أرواح لهم سامية أين ما أوتوه من سحر البيان؟

oooooo

هل علا - حيث علت اصواتهم ومشت روعتهم - الاسكون؟
نثرت كف البلى أبدانهم وسطا الدود على تلك العيون

* * *

هل لنفسى أمل فى حلم ضاحك . صادقة ألوانه ؟
لم يمثله لعينى خادع (١) طال فى تمثيله بهتانه

oooooo

وغداً ان ذهبت هائمة (٢) أتراها تملأ الجو غنـــاء ؟
قدكِ !فالأكوان يطويها البلى ووجودى مسرع نحو الفناء

* * *

أيها الخلد المعزى للورى أنت جهمٌ (٣)! وجميل كالربيع
توّجوه لعيون عشيت عن هداها، غرّها التاج الشنيع

oooooo

حيـــلة لله ما أجملَها وأكاذيب ارتدت ثوب التقى
كان فى الخلد عزائى فقضى وطوى اليأس رجائى فى البقا .

ooooo

من درى الأمر ولا يمقته ؟ يتجلى كله فى جمجمه !
كيفما قلّبتَ أبصرتَ بها ضحكة دائمةً مرتسمه (٤)

* * *

(١) الاصل : لم يمثله لعينى اللحميتين ماء ولاذهب .
(٢) كناية عن تلاشى الروح بعد الموت
(٣) لان الخلود المطلق الذى يمنح للشىء لايمثل الا شيئا فارغا داعيا للسأم كاللحن الواحد . وهذا الخلود نفسه هو صور من صورة الموت
(٤) هذه هى الضحكة التى تمثلها احناك الجماجم بعد الموت. وقد مثلها المعرى بقوله :
رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد

من طرائف الشعر

آثار شوقية

فرديات من المنظر الثاني فى الفصل الثالث

من رواية البخيلة

تظهر حسنى الخادم فى ثوب اسود على باب حجرة
من حجر منزل المرحومة الست نظيفة (البخيلة)

حسنى لنفسها تتذكرما وهبته لها الست نظيفة قبل وفاتها

عينى أحقٌّ أنى فى منزلى؟   لا. كان لى فوهبته لجمال (١)
غاليت فى شعب الفؤاد بحبه   حتى وهبت له الثمينَ الغالى
أعطيته ماكان أصبح فى يدى   من مال جدّته فليس بمالى
لم يرض قلبى أن أعيش سعيدةً   ويعيش فى بؤس ورقة حال
أتُراه يقدرُ خدمتى ومحبتى   أولا يمرُّ له الصنيع ببال

***

رحمة الله على سيدتى   وسقَى الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبت   فكستنى الخزَّ فى الموت يداها
وحمتنى الماء حتى احتجبت   فسقيتُ الشهدَ من فيض نداها
صار لى من بعدها منزلها   والدكاكين وآلت ضيعتاها
ثروةٌ قد نهض الجوعُ بها   ومشى الحرمانُ فيها فبناها
وهبَتْ لى كلّ ما قد ملكت   لم تدع من ذاك شيئاً لفتاها

(١) حفيد الست نظيفة وقد أحبته حسنى الخادم

وبقايا ببقايا بُدّلت   رب لحد فوق لحد يجثمُ
خجلت اقدامنا من وطئها   ما أديم الارض الا أنتم !

□□□□□

ليس للدود اتصال بكمُ
ياجسوماً أُدرجتْ فى الكفن (٢)
هو بالاحياء يحيا ابداً   هو يحيا فىّ ، لايبرحنى !

دير الزور ...   خليل هنداوى

(٢) هذا دود التطور نجعله رمزا للقبر وهو فى الحقيقة يحيا بحياتنا .وهو شعورنا أو ضميرنا المتغير دائماً .

ثم بعد لحظة :

لا . ذاك مالُ جمال   تركته لجمال
وعدتُ ماكنت من قبـ   ـلُ فوطتى هى مالى
أجل أنا الخادم والطاهيه   وما أنا السارقةُ الباغيه
ولا على الناس طفيلية   أجعل أموالهمُ ماليه

***

سمعت حديث البخل حتى صحبته   زماناً أراه كل حين واسمع
يروح ويغدو بين عينىّ صورة   ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

***

سيدتى ونجلها   فى الحظ سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها   بالبخل فيه ما انتقل
يرحمها الله فما   أنسى لها تلك الجمل
فى غضب عند الحوا   ر واضطراب (وزعل)
وما أختلفنا مرة   فى حَمَل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كا   ن الخلف أو حول البصل
ولم نكن من الدقيـ   ـق ننتهى ولا العسل

***

يرحمها الله وان   لم تأت يوماً بحسن
عاشت بثوب واحد   كالميْت عاش بكفن
أما أنا فالشاش أو   مادون ذاك فى الثمن
وبذلتى وفوطتى   طال عليها الزمن
واجرتى عشرون قر   شامع كثرة المهن
البئر لا أبرحها   خارجة وداخله
صاعدة كالدلو كـ   ـل ساعة ونازله
طباخة أصنع من   لا شىء شيئاً نأكله
وأنحنى على البلا   ط كل حين أغسله
وكل دكان علىّ   أجرها أُحصّله

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى

ساعـــة الرضى

للشاعر الوجدانى احمد رامى

انظرى !

هذى دموعِ البشر جالت فى عيونى

اسمعى !

هذا نشيد الروح فياض الحنين

يالعينيــك إذا أرسلتا فى فؤادى بارقات الأمل !

مالخـديك أضاءا وهجا ؟ ألرضى ! أم بادرات الخجل ؟

صارحينى

لم يعد يخفى الهوى مابيننا بعد أن ذقناه هجراً ووصال

نادمينى

كم سهرت الليل فى نجوى المنى وسألت النوم عن طيف الخيال

بادلينى بالرضى رضى

أسعدينى فالقضا قضى

أنا فى دنيـــا المنى هيمان

أنا ولهـان أنا فرحان

جمعتنـا ساعة هفّافة بجناحين وداد وسلام

هـذه روح الهوى رفّافةً فاسمعى منهـا أناشيد الغرام

***

من الادب الانجليزى :

المؤقت هو الكل

لتوماس هاردى

هدتنى صروفُ الجدِّ ـ إذ أنا يافعٌ ـ

وأحـداثُ دهرٍ دائماتُ التقلُّبِ

إلى صاحبٍ فى الناس لم أبغِ وُدَّهُ

ولم أتخـيَّرهُ ولم أتطلَّبُ

وقرَّبنَ أسبابَ التواصُلِ بيننا

أظلُّ أراهُ كلَّ صُبحٍ ومغرب

ووثّقنَ عهدَ الودِّ بينى وبينه

برغم اختلافٍ فى مرامٍ ومشربِ

فقلتُ : « أُساقيهِ المودّةَ آنةً

وأُوليهِ آياتِ الولا والتحببِ

إلى يومَ يأتى الصاحبُ المفردُ الذى

أرى فيه قصْدى فى الصِّحابِ ومذهبى

فانَّ صروفَ الدهر شتَّى كثيرةٌ

ومازلتُ ذا عمْرٍ مَديدٍ مُرحَّبِ »

***

وألقى إلىَّ الدهرُ إذْ أنا راتعٌ

أتيهُ وألهو فى الشبابِ وأصطَبى

بحسناءَ رودٍ يُعجبُ الطَّرفَ حُسْنُها

وإن لم يكن يُزرى على كُلِّ مُعجبِ

فقلتُ : « بلاغٌ لى إلى حينَ ألتقى

بمن أصطفيها فى الحِسان وأجتبى »

***

وكنتُ أرجِّى منزلاً طيِّباً به

أعيشُ وحيـداً عيشة المترهِّبِ

فأولُ دارٍ صادفتنى سكنتُهـا

وإن لم تكن فى الدُّورِ غايةَ مرغبى

وقلت : « أدارى العيشَ فيها هنيهةً

إلى يومَ يهدينى الزَّمانُ لأطيبِ

***

« وإذ ذاك أُدلى للورى برسالتى

وأكشفُ عن نور الهدى كُلَّ غيهبِ

وحسبى ـ إلى أن يسنحَ الزمن الذى

أميطُ به عن كُلِّ حقٍّ مُحجَّبِ ـ

فُضولٌ من الأشغال شتَّى طوارقٌ

أجيل بها حيناً بنانَ المجرِّبِ »

فهاتيك آرابى التى عِشت طالبًا

فأينَ حياتى مِنْ طِلابى ومأربى ؟

(مقرظ لا مقرطق)

نشرت الرسالة الغراء فى عددها الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ كلمة تحت عنوان « قص الشعر فى الادب العربى » بقلم الاستاذ على شرف الدين جاء فيها (. . . فقد كانوا يضعون الأقراط فى أذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) الخ

فالاستاذ يريد بهذا ان يقول : ان الغلام الذى يوضع القرط فى اذنه يسمى مقرطقاً وهو خطأ منشؤه عدم التفرقة بين القرط والقرطق ، وبين المتحلى بالقرط ولابس القرطق. فالمتحلى بالقرط يسمى مقرطاً ولابس القرطق مقرطقاً ، والقرطق ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء . قال الفيروزابادى فى القاموس : القرطق كجندب لبس معروف معرب كرته ، وقرطقته فتقرطق البسته اياه فلبسه «اه» وفى المصباح القرطق مثال جعفر ملبوس يشبه القباء وهو من ملابس العجم اه

فانت ترى أنهم لم يختلفوا فى معنى القرطق فهم متفقون على انه ملبوس يشبه القباء وأنما الخلاف فى ضبطه فجعله صاحب القاموس كجندب وجعله الفيومى فى المصباح كجعفر . (و قد حرفه المولدون) فى اشعارهم كقول بن المعتز :

ومقرطق يسعى الى الندماء   بعقيقة فى درة بيضاء

واخطأ عمر الوداعى فظن مقرطق بمعنى ذى قرط فى قوله :

قلت لهم لما بدا   مقرطق يحكى القمر
هذا ابو لؤلؤة   منه خذوا ثار عمر

وانما هو مقرط كما فى شرح الفصيح (١) اه ولعل الخطأ تطرق الى الاستاذ من الوداعي صاحب هذين البيتين فظن المقرطق ذا القرط كما ظن هو نفسه وعلمت عدم صحته ؟

برهان الدين الداغستانى

(١) من التعليقات على ادب الكتاب

رواية الابناء والمحبين

للكاتب الانجليزى د . ه . لورنس

نقد وتحليل

أراد د . ه . لورنس فى روايته أن يصور لنا فتى خيالى النزعة دقيق المشـــاعر فى دور الانتقال الاول من حياة الصبى الى حياة الرجل

وليس الفتى «بول» فى هذه الرواية الا الفتى د . ه . لورنس نفسه ، فابوه عامل خشن من عمال المناجم يعول أسرته بعمل ذراعيه ولا يعرف من لذات الحياة غير المأكل والمشرب ولاسيما الاخير منهما . وأما مسز موريل أمه فامرأة مهذبة من أسرة من الطبقات المتوسطة ، كان ابوها مهندسا وكان رجلا كبير الجثة جميلا بادى العظمة فخوراً بلون بشرته الابيض وزرقة عينيه وفخورا أكثر باستقامته ، وقد شابهت جرترود (أى مسز موريل) أمها فى ضآلة البنية ولكنها ورثت خلقها بما فيه من تكبر وشدة حساسية من أسرة أبيها »

ومع ذلك تزوجت هذه المرأة المهذبة من ذلك العامل الخشن، فقد قابلت وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها فتى من وادى أرواش فى حفلة من حفلات عيد الميلاد ، وكان موريل عند ئذ فى السابعة والعشرين من عمره ، وكان جميل الجسم معتدل القامة ظاهر النشاط ذا شعر اسود متموج لامع ولحية سوداء قوية لم تحلق قط ، وتلوح على خديه علائم الصحة ، ويلفت النظر فمه الاحمر الرطب لانه كان يضحك كثيرا ويضحك من أعماق قلبه ، وقد وهب، تلك الموهبة النادرة أعنى الضحكة القوية الرنانة ، ولاحظته جرترود فسحرت به وكان مليئا بالألوان والحياة ويتنقل صوته بسهولة الى المضحك الغريب، وكان سريع الخاطر ظريفا مع الجميع ، وكان أبوها يميل الى الفكاهة النازعة الى السخرية ، ولكن هذا الرجل يختلف عنه ، ففكاهته ناعمة بعيدة عن التعمق الذهنى وحارة فيها نوع من اللعب

« أما هى فكانت على الضد من ذلك ذات عقل دائم التساؤل قابل للمعلومات يجد لذة كبيرة فى الاصغاء الى الآخرين وكانت ذكية فى جر الناس الى الكلام ، تحب الآراء وتعتبر مثقفة

فَلا أنا أدَّاني اجتهادي لِبُغْيَتي
ولا الدهرُ ممَّا عِشتُ أبغي مُقرِّبي
وما فُزْتُ من خِدْنٍ بخيرٍ منَ الذي
لديَّ ومن خُودٍ ودَارٍ ومَطْلَبِ
ولم أرَها إلاَّ طُيوفًا تَباعَدَتْ
مَدَى العمرِ ما تَدْنُو إلى مُترَقِّبِ!

فخري أبو السعود

تثقيفا كبيرا ، وتحب بنوع خاص المناقشة فى الدين والفلسفة والسياسة مع رجل مهذب، ولكنها لم تكن تمتع بهذه الفرصة كثيراً، لذلك تحمل الناس على أن يتكلموا معها عن انفسهم وتجد فى ذلك لذة كبرى ، وكانت فى شخصها ضئيلة ورقيقة ذات جبهة عريضة تتساقط عليها عناقيد من الحرير الاسمر المجعد ،وعيناها الزرقاوان مستقيمتان أمينتان باحثتان ، يداها جميلتان كسائر أهلها ، وملابسها دائماً ذات لون قاتم فتلبس رداء من الحرير الازرق الغامق،وتضع سلسلة فضية ذات شكل خاص ودبوس كبير من الذهب المجدول،هذا كل ما تتزين به ، وكانت بعيدة عن الاهواء شديدة التمسك بالدين ، مليئة بالصراحة الجميلة .

فتن والتر موريل عند ما التقى ناظراه بناظريها ،فكانت عند هذا موضوع غرابة وسحر إذ كانت سيدة فهى اذا كلمته نطقت فى لفظ جنوبى وفى انجليزية صافية يرتعش لسماعها »

***

ليس موضوع الرواية حب ولتر موريل عامل المناجم وتزوجه من جرترود كوبارد ، وانما موضوعها أجل من ذلك، ولكننا أردنا أن نسوق شيئاً من وصف الرواية لهما كى تتعرف اليهما قبل أن تتعرف الى ابنهما الصبى بول موريل

وليس بول بكر أولادهما ، فوليم موريل كان أكبر الأولاد واليه تحول حب الام حين حل الجفاء بينها وبين زوجها محل الحب الاول ، اذ لم تلبث السيدة موريل وهى المهذبة المثقفة أن اكتشفت حقيقة زوجها ورأت وراء ذلك الجسد الذى سحرها بفتوته روحاً خشنة غير مهذبة ،وأخذ زوجها كزملائه يقبل على الكاس فلا يذهب الى البيت الا ثملا، واذا كان ثملا ، كان جافاً تبدو خشونة طباعه .

الى الابناء،ولاسيما الابن الاكبر وليم تحول حب الام وصممت بعزيمتها الفولاذية على أن يكون أبناؤها مثقفين بارزين فى مضمار الحياة ،وكان وليم فتى طموحا يميل الى التعلم وقد تمكن من أن يجد عمل كاتب فى أحد المحال القريبة من قريتهم ثم انتقل الى عمل فى لندن وصارت زيارته للاسرة عيداً من الاعياد .

وأحب وليم فتاة من الكاتبات فى لندن وعزم على الزواج منها فقدمها الى عائلته وكانت فتاة كثيرة الاهواء محبة للظاهر ورأت الام بعين الحنو انها لا تصلح لابنها ولكنها بعين الحنو أيضاً سكتت على مضض .

على أن الفتى كان يكتشف حبيبته شيئا فشيئا ،ويرفع الستر عن عينيه كما يدل على ذلك حديثه فى زيارته الاخيرة لأسرته ، وكان ذلك فى مساء يوم السبت

« وقد خاطب امه مرة واحدة فى ذلك المساء وكان يتكلم عن حبيبته فى لهجة الحزن والألم :

« ولكنك تعلمين ياأماه اننى لو مت لتألمت شهرين ثم تأخذ فى النسيان ، وسترين انها لن تأتى الى هذا المكان لتنظر الى قبرى — لن تأتى مرة واحدة »

فقالت امه : ولكنك لاتموت ياوليم ، فلماذا تتكلم عن الموت ؟

على ان القدر رسم له ان يموت ، فقد عاد الى لندن فى منتصف ليل الاحد وفى يوم الثلاثاء تسلمت مسز موريل برقية بان ابنها مريض ، فاسرعت الى القطار ولاريب فى ان الام كانت تشعر ذلك الشعور الخفى بالكارثة ،ولا ريب فى انها كانت تقاوم ذلك الشعور وتغالبه فلا تستطيع ،ووصلت الى لندن لتراه يموت بين احضانها دون ان يتعرف الى امه

* * *

ان الصفحات التى وصف فيها د . ه . لورنس دخول الموت الى هذه لأسرة لهى من اروع ما كتبه

تحطمت آمال الأم فى وليم فتحولت الى ابنها بول ونشأ بول كما نشأ جميع افراد العائلة على حب الام وعلى ان يعتبر اباه خارجا عن الأسرة ، ونجد صورة من ذلك فى مرض حدث له وهو لايزال صبيا :

« اصيب الغلام بنزلة صدرية ولكن لم يهتم لها كثيرا ، فان ماحدث قد حدث ، وليس ثمة فائدة من مقاومة الاشواك ، وكان يحب المساء بعد الساعة الثامنة عندما تطفأ الانوار ويستطيع ان يرقب لهيب نيران الموقد يبدد ظلام الحائط والسقف ،ويرى ظلالا عظيمة تتموج وتضطرب ،وكأن الغرفة امتلأت برجال يتقاتلون فى سكون

كان الاب يدخل غرفة المريض قبل أن يأوى الى فراشه ومن عادته ان يكون فى نهاية الرقة اذا مرض احد فى البيت ،ولكنه كان يعكر جو الغرفة لدى الغلام

سأل موريل فى رفق : « هل أنت نائم يابنى ؟ »

فأجاب الغلام : «لا! هل امى آتية ؟ «

انها انتهت الآن من طى الملابس ، أتريد شيئا ؟ وكان موريل يخاطب اولاده بلهجة الاحترام

— لا أريد شيئا ولكن هل تغيب طويلا ؟

ـ لاتغيب طويلا يابنى

ووقف الاب برهة فى تردد فوق الطنفسة المبسوطة امام الموقد وقد شعر ان ابنه لايريده ، ثم ذهب الى اعلى السلم وقال لزوجته .

ـ ان الطفل يريدك ! هل يستغرق عملك وقتا طويلا ؟

ـ لن اتركه حتى انتهى منه ، قل له ينام

فقال الوالد لابنه فى لطف :« انها تقول لك نم »

فألح الغلام :« انى اريد ان تأتى »

فنادى موريل من السلم ، لن ينام حتى يراك

ـ كفى ! فلن آتى حتى انتهى من عملى ، ثم كفاك صياح من اعلى السلم ، فان الاطفال الاخرين . . . . »

فقال الاب :« لن تغيب طويلا »

وظل الاب يجول فى الغرفة ، وبدأ على الغلام ، القلق وكأن وجود ابيه زاد من نفاد صبره ، واخيرا وقف موريل امام إبنه لحظة ثم قال فى صوت رقيق : « ليلة سعيدة ايها العزيز »

فأجاب بول :« ليلة سعيدة » ودار بجسمه الى جانبه الآخر وقد شعر بالارتياح لانه صار وحيدا .

وكان بول يحب ان تنام امه معه ، وما زال النوم فى اكمل حالاته على الرغم من اقوال الاطباء عندما يشترك فيه المحبوب فان حرارة الروح وطمأنينتها وأمنها والراحة الكبرى فى تلامس الجسدين تربط النائم بالنوم بحيث يكون الجسد والروح فى عنايته وقد رقد بول الى جانبها ونام وتحسنت حالته ، اما هى والنوم لايزورها سريعاً فقد نامت بعد ذلك نوماً عميقاً اعاد الى نفسها قوة الايمان »

* * *

ولكن الامهات لايلبثن ان يجدن منافسات لهن فى إبنائهن ، ورواية الابناء والمحبين . إنهى الاقصة ذلك النضال الخفى الذى يقوم بين الام وبين تلك التى تريد ان تحول قلب ابنها اليها .

ففى مزرعة ويلى وجد بول حبه الاول : فتاة هى اخت لاصدقائه اولاد اصحاب المزرعة

كانت مريم ذات نزعة خيالية و كانت كبيرة التعلق بامها « و كان كل منهما ذات عينين عسليتى اللون ، وذات نزعة صوفية ؛« فكانت من اولئك النساء اللاتى يكتنزن الدين ويتنفسنه من انوفهن ، وكانت مريم تظن الله والمسيح شخصا واحدا تحبه حبا شديدا وتخشاه » . . . .

« وكانت هذه المخلوقة لاتهتم بجمالها الخجل المتوحش المتوقد حساسية ، بل لاتكفيها تلك الروح ذات النزعة الشعرية فكانت ، تبحث عن شىء آخر يقوى ماطبعت عليه من كبرياء ، لانها شعرت بانها تخالف غيرها من الناس ، ولكنها نظرت لبول نظرة اخرى فهى بوجه عام تكره الرجال ، على انها رأته من نوع آخر سريعا خفيفا رقيقا قد يكون احيانا آية فى اللطف ويتغلب عليه الحزن احيانا ، وهو ذكى يعرف الشىء الكثير وقد طاف الموت مرة بعائلته ، ورفعه فى عينيها الى السماء ماحصل عليه من المعلومات الضئيلة .. »

احبته الفتاة واخذ الفتى ينفتح قلبه للحب ، ولكنه كان حبا غريبا خفيا ممزوجا بكل مافيها من مشاعر الدين والتقوى ، واما حب الفتى فكان فطريا ممزوجا بتلك العاطفة التى يمتزج بها الحب كثيراً فى نفس فتى تحول قريبا من دور الصبى الى دور الرجل ، وقد رأت فيه الفتاة مثلا أعلى للرجل المتصف باكمل الصفات ، أما الشاب ذو الشفة المرتعشة بحرارة الشهوة فكان ينظر الى الحب من ناحية أخرى

لم يلبث الفتى ان مل هذا الحب ، واراد حبا أكثر أنسانية واقل تطلعا الى الملائكة ، ووجده عند كلارا التى كان يعمل معها فى محل واحد

تعلق الفتى بها وتعلقت به ، وتجاذب النفسان تلك العاطفة تجاذبا ، نقرأه بدقائقه فى هذه الرواية ، ولكن شيئا كان يحول بين توافق هذين القلبين كما كان يحول بين توافق قلب بول ومريم

الواقع ان هنالك حبا آخر عنيفا محطما كان يعمل دائما على التفريق ، وهذا الحب المحطم هو حب الام لولدها ، فبول كان شديد التعلق بامه وامه شديدة التعلق به والحنو عليه ، فلما ان طمحت نفسه الى حب آخر لم يجد الى التخلص سبيلا ، انه لم يشعر بذلك لان هذا الحب كان يجتذبه بخيوط خفية دقيقة لايراها ولايستطيع الا ان يظل فريسة ، فعندما تحول حب بول عن مريم كانت الام تجتذبه ، وعندما تحول حبه عن كلارا كانت الام تجتذبه

ولم تكن الام تعمل على ابعاده ولا هى تسعى لذلك سعيا ظاهرا ، بل هى تود سعادته وخيره ، وتود ان يصل الى كل مايرضيه ، وانما نفوذها القوى عليه وحمايتها الشديدة له وعنايتها به منذ صغره الى ان مرضت مرضها الاخير والى ان لفظت آخر انفاسها امامه ـ هذا النفوذ هو الذى حطمه فى صباه وقد يحطمه فى رجولته

فموضوع الرواية الحقيقى قد لايكون حياة بول وانتقاله الى الرجولة وتفتح عينيه الى سر الحياة ، وانما هو : نفوذ الام وعطفها الذى قد يكون اشد خطرا على حياة الشاب من جميع الاخطار

وتعتبر هذه الرواية من اوائل روايات (د.ه. لورنس) ويضعها البعض فى مقدمة رواياته لكن اسلوبها المصقول الحذر ينم على يد لم تكن من المران بحيث تطلق عنانها وان كنا نرى فى التحليل النفسانى نبوغا لايقل عن نبوغه فى خير رواياته ؟

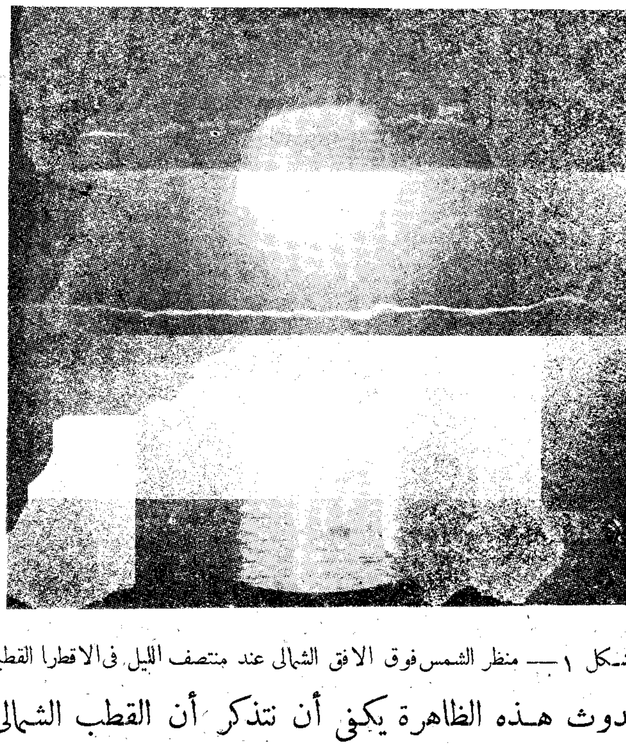
حسن محمود

العلوم

نور الشمس فى منتصف الليل

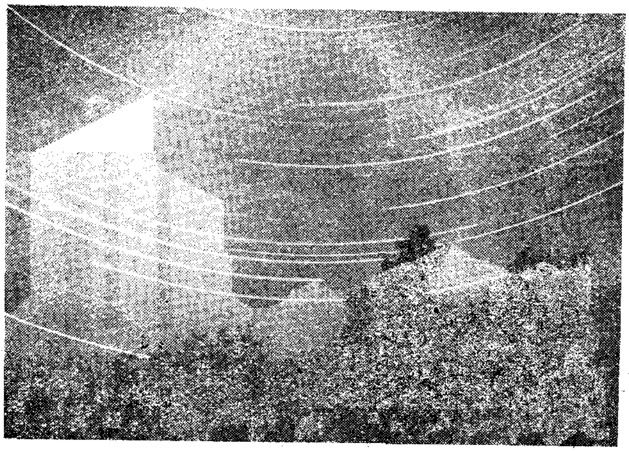
للدكتور على مصطفى مشرفة

فى الأقطار القطبية الشمالية لا تغرب الشمس وقت الانقلاب الصيفى (أى حوالى ٢١ يونية) بل تبقى فوق الافق طول الاربع والعشرين ساعة . ويذهب حينئذ كثير من عشاق الطبيعة إلى الجزء الشمالى من شبه جزيرة اسكاندناوه أوإلى اسبتزبرجن لرؤية « الشمس فى منتصف الليل » كما يسمونها (انظر شكل ١) . ولكى نفهم امكان



شكل ١ — منظر الشمس فوق الافق الشمالى عند منتصف الليل فى الاقطار القطبية

حدوث هذه الظاهرة يكفى أن نتذكر أن القطب الشمالى للكرة السماوية (موضع النجم القطبى تقريباً) يرتفع عن الافق كلما تحركنا شمالا على سطح الارض[1] . حتى اذا دخلنا الدائرة القطبية صار ارتفاعه عن الافق أكثر من ٦٦،٣٣ اى اكثر من بعد الشمس عن القطب الشمالى عند الانقلاب الصيفى . وبذلك يصير شأن الشمس حينئذ شأن النجوم المحيطة بالقطب والتى تدور فى حركتها اليومية فى دوائر محيطة بالقطب دون ان تشرق او تغرب (انظر شكل ٢)



شكل ٢ — تتحرك النجوم المحيطة بالقطب فى دوائر حول القطب بحيث لاتشرق ولاتغرب . وقد اخذت الصورة بتوجيه الآلة الفوتوغرافيه نحو الافق الشمالى وترك اللوح معرضا نحو ساعتين .

ومع ان امر هذه الظاهرة معلوم لدى الخاص والعام الا ان القليل منا من يعرف انه من الممكن رؤية نور الشمس (لا الشمس ذاتها) فى منتصف الليل دون ان نتطرف شمالا الى ابعد من خط عرض باريس اوجنوب انجلترا . فالشمس بعد ان يختفى قرصها المنير تحت الافق تبقى اشعتها مضيئة للطبقات العليا من الهواء الجوى وينشأ عن ذلك نور منتشر هو الذى يعرف بالشفق . ويظهر الشفق كقطعة من دائرة تنخفض مع الشمس فى انخفاضها تحت الافق نحو ١٨ درجة اى بمقدار القطر الظاهرى لقرص الشمس نحو ٣٦ مرة . ويجب ان نميز بين هذا النوع من الشفق وبين نوع آخر ناشىء عن وقوع ظل الأرض على الهواء الجوى ، يظهر فى الناحية الشرقية للسماء

(١) ارتفاع القطب الشمالى للكرة السماوية من الأفق يساوى دائما خط عرض المكان والألمان يسمون خط العرض Polhöhe ومعناها ارتفاع القطب .

كقطعة من دائرة منيرة ذات لون ازرق قاتم يحيط بها قوس ضارب الى الحمرة ثم يرتفع تدريجياً ويتلاشى سريعاً حتى ينعدم قبل ان يصل الى سمت الرأس . كما يجب ايضاً أن يميز بين شفق الغروب وشفق الشروق الذى يظهر عند الفجر وفيه تبدو جميع مظاهر الشفق بترتيب عكسى لما ذكرناه آنفاً

وفى مصر كما فى سائر البلدان القريبة من خط الاستواء تهبط الشمس عند الغروب هبوطاً سريعاً ولذا فان الشفق لا يبقى طويلا ، ففى مصر يصل انخفاض الشمس عن الأفق وقت الانقلاب الصيفى الى ١٨° بعد الغروب بنحو الساعة والنصف وعندها يحل الليل ويزول الشفق تماماً .

أما فى البلاد البعيدة عن خط الاستواء فان الشمس تنحدر فى غروبها صيفا انحدارا بطيئا فيمتد أمد الشفق . وإذا راعينا أن غروب الشمس ذاته يجىء متأخرا صيفاً فى البلاد الشمالية أدركنا نتيجة هذين الظرفين مجتمعين فى إطالة النهار . واذكر أننى اثناء اقامتى فى انجلترا كنتُ استطيع أن اطالع كتبى وقت الصيف فى حديقة المنزل على ضوء النهار إلى ما بعد الساعة العاشرة مساء .

ومن الممكن إذا عُلم خط عرض المكان حساب مدة بقاء الشفق . فعند خط عرض باريس مثلا يمكن بحسبة بسيطة معرفة أن انخفاض الشمس وقت الانقلاب الصيفى يصل إلى



شكل ٣ـ الشفق فوق الافق الشمالى الغربى اخذت الساعه ١١ مساء قرب باريس

١٨° عند منتصف الليل ، ولذا فان شفق الغروب يبقى إلى منتصف الليل ، وعندها يبدأ شفق الشروق وبعبارة أخرى لا يكون هناك ليل حقيقى فى ذلك اليوم . وفى شمال انجلترا تبدأ هذه الظاهرة بشكل أوضح إذ يمتزج الشفقان ويبقى نور الشمس (المنعكس عند طبقات الهواء العليا) واضحاً طول الليل . وإذا قلنا إن نور الشمس يمكن رؤيته عند منتصف الليل عند خطوط العرض التى تقع شمال باريس فيجب أن نذكر أن هذا النور يكون ضئيلا ، ومن السهل أن تكسفه أنوار المدينة أو نور القمر ، ولذا يحسن إذا أريدت رؤيته أن يخرج المرء الى الريف البعيد عن الاضواء الصناعية بشرط ان يكون الشهر القمرى فى أوائله أو أواخره . ومما يساعد على حسن رؤيته وجود اجسام معتمة كالاشجار مثلا على الافق . ويرى فى الشكل ٣ صورة فوتوغرافية اخذت الساعة ١١ مساء بواسطة فانوس اسقاط (فانوس سحرى) ذى عدسة مكثفة عرّض اللوح فيها ١٩٠ ثانية وفى الآخرين ٣٩٠ ثانية ويظهر فيها بوضوح نور الشفق من الناحية الشمالية فى السماء .

علي مصطفى مشرفه

نوبل

للدكتور احمد زكى

فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر الماضى احتفل القوم بمرور مائة عام على ميلاد « الفريد برناد نوبيل » . وما كان العالم فى حاجة الى التذكير بميلاد نوبيل أو بموته فذكراه تتجدد كل عام ، تجدّدها تلك الجوائز السنوية الخمس التى تحمل اسمه والتى أنشأها عند وفاته عام ١٨٩٦ ووقف عليها ريع ثروته الهائلة ، وقد يبلغ الخمسين ألفا من الجنيهات



فى السنة الواحدة . قال نوبيل فى وصيته « .... ويقسم هذا الريع هكذا : نصيب للفرد الذى يأتى بأخطر استكشاف فى الفيزياء (١) ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأخطر ابتداع فى

(١) هى لفظة العراق لكلمة Physics أما الطبيعة فتقابلها Nature والحق أن Pyhsics ليست دراسة الطبيعة وانما دراسة قواها . وبهذا نتفادى اللبس عند ترجمة Physical و Natural وما اليهما من المشتقات

الكيمياء أو بتجديد خطير لابتداع قديم ، ونصيب للفرد الذى يأتى بأكبر جديد فى الطب أو فى الفسلجة (٢) ، ونصيب للفرد الذى ينتج فى عالم الادب أجلّ نتاج على ان ينحو فيه صاحبه منحى الاديالييين Idealists ، والنصيب الخامس والأخير للشخص الذى زاد أكثر من غيره فى أخاء الامم ، وجاهد أكثر من سواه فى الغاء الجيوش أو فى انقاصها وفى جمع المؤتمرات وزيادتها تحقيقا للسلام ... وا ، اعلن رغبتى الصريحة فى الا تكون لجنسية المترشحين اى اعتبار مهما قل عند القرار بمنح هذه الجوائز »

هذا نوبل كما يتراءى فى وصاته : رجل حباه الله الثروة الواسعة ، ومنحه العقل الذى يدرك به خطر العلومَ الطبيعية فى تقدم الانسان واسعاده ، ووهبه قلب الشاعر الذى يزهد فى صور الكون الواقعة ، وحقائقه الراهنة ، لقبحها ولنقصها ، ويستلذ صورا من خلق الخيال لاحقيقة لها ، لأنها تمثل الكون على مايجب ان يكون ، والانسان على اتم حال من جمال ونبل ، والاشياء على أكمل اتساق وانتظام ، فالنتاج الادبى الذى يُجيز عليه يجب ان يكون اديالياً كاليا لاحقيقيا واقعيا ، واتسع هذا القلب حتى وسع الأمم جمعاء فخشى عليها مهالك القتال وأشفق عليها من متالف الحروب

أما نوبل قبل الوصاة ، نوبل القرن التاسع عشر فرجل عالم مهندس كيميائى ، صرف مواهبه فى استكشاف بوائق الحروب والتفنن فى اساليب الموت وتشجيع القتال بأبحاثه حتى كفل للحكومات الحجة التى لاتدفع فى فض الخصومات

ولد نوبل فى استكهلم عاصمة السويد عام ١٨٣٣ وذهب أبوه به صغيرا الى عاصمة روسيا حيث أنشأ معملا لصناعة الطوربيد ، ثم عاد به الى السويد وخلّف أخاه الاكبر قوّاما على ذلك المعمل فوسّعه ومدّده . وفى السويد بدأ نوبل بدراسة الناسفات . وكان الوقت ملائما لهذه الدراسة ، فان النزاع بين الدول كان يشتد واسباب الخصام تتكاثر ، وزادت الريبة وأشكل المستقبل ورأت كل أمة خلاصها من الحرب فى العدة للحرب . ومن الغريب ان العالم لم يكن يعرف ويألف من الناسفات الى ذلك العصر غير البارود ، وكانت الكيمياء الحديثة قد بدأت تشب والتفاعلات الكيماوية تُدرس فتُعرف ، فكان من الطبيعى ان تتجه الأمم فى تنافسها الى الكيمياء علّها تجد عندها سلاحا جديدا أمضى من الحديد ، أو مرادفا أقوى وافتك من البارود . فدرس الدارسون واجتهد المستنبطون ، تارة يستحثهم المجد ، وتارة يغريهم المال ، وتارة أخرى تُلهبهم القومية وما يتضمها من ضرورة فى دفاع ، أو إشباع لأطماع ، فكشفوا فى النصف الاخير من القرن الماضى عن طائفة من الناسفات طالعنا آثارها فى الحروب التى تتابعت من ذلك العهد ، رأينا فعلها وسمعنا دويّها فى الحرب الكبرى الاخيرة التى ذهبت ببضعة ملايين من بنى الانسان

بدأ نوبل دراسته فوقع على مادة اسمها «النترو ـ جلسرين» Nitroglycerine وذلك عام ١٨٦٤ . وهذه المادة كان قد وقع عليها من قبله كيماوى آخر يدعى سبريرو عام ١٨٤٦ وحضرها بأسترة الجلسرين وحامض الأزوتيك إلا أنه لم يحقق ماهيتها ولم يدرك خطرها فى النسف وشدتها عند الالهاب والطرق . فاتجه نوبل الى دراستها رجاء احلالها محل البارود ، والى تحضيرها جملة ، والى تعرّف اسباب الحيطة لتجنب أخطارها أثناء التجهيز . ونجح فى كل هذا بعد ان أصابه من مخاطرها مالابد منه ، فحضّرها مادة مائعة ثقيلة تشبه الزيت ، فبدأ يشيع استخدامها فى المرافق الحربية والمدنية . وهى اذا تفرقعت استحالت فجأة الى احجام كبيرة من غازات أهمها غاز الكربونيك والأزوت والاكسجين وبخار الماء تزيدها حرارة التحلل تمددا . حسب نوبل مقدار ماينبعث من غاز فوجد ان الحجم الواحد من الزيت يخرج ١٢٠٠ حجم من الغاز ، هذا باحتسابه فى حرارة الجو العادية وتحت الضغط العادى ، أما وهو فى حرارة التفاعل

(٢) هى علم وظائف الاعضاء.

فيبلغ ثمانية أضعاف ذلك . وعلى ذلك فهذا الزيت أقوى من البارود ثلاث عشرة مرة . الا انه لم يكن كالبارود لينطلق بسهولة ،ومع هذا كان احساسه عندالاصطدام كبير. ففكر نوبل ثم فكر، فخال ان يدس فيه شيئا قليلا من البارود يصله بفتيل قابل للالتهاب يطيله كيف شاء ،ثم يشعله فتسرى فيه النار، حتى اذا وصلت الى البارود فى خزانته الصغيرة انطلق فانطلق بانطلاقه « النتروجلسرين » . وهذه أول مرة عُرفت أُطلق فيها ناسف بناسف، وهو احتيال لعب دوره الكبير فى الناسفات ،ولايزال يلعبه كبيرا الى وقتنا هذا ، وبه أفلت «النتروجلسرين » من خيبة محققة . الا انه ما كاد يذيع حتى ذاعت بذيوعه فواجع ونكبات لوصول أيدٍ غير خبيرة اليه . وزاد فى خطره قوامه المائع ومظهره الرطب الهادىء ، فطمأن اليه بُلهاء نالوا منه حتوفهم - كان ينقل على عربات تجرّ ، فذات مرقصات العجَل وصرّفها كان من صاحبنا الحوذى الطيب القلب الا أن شحّمها بالزيت الذى يحمل . وكان الحطّابون يَزيتون به أحذيتهم ، ويدهنون به أعنة خيولهم، وبعدذلك يحكونها ويلمعونها. وتكررت الحوادث وتتابعت انفجارات ذهبت احداها بأخى نوبل ، فسنت الحكومات القوانين بتحريم صناعته ، وثار حنق الجماهير على نوبل اذ تمثلوه رجلا لاقلب له يسعى لصالح نفسه ،ويطلب المال بما فيه دمارُ الناس.عندئذ ضاعف نوبل جهده وحشد قواه ليؤمّن الناس من شر تلك النكبات . فبحث عن جسم صلب مسامىّ يمتص النتروجلسرين . وبعد تجارب عدة فى هذا السبيل وجد أن «الكيزلجور» Kieselguhr يمتص أكثر من سواه.«والكيزلجور طَفَل ذو مسام كثيرة ، أصله نباتات من الطحالب العائمة التى تعيش فى البحار والانهار على السواء ذات خلية واحدة متسلّس جدارها ، ماتت فرسبت هيا كلها فتكونت منها طبقات كثيرة تُستعدن الآن . وهى تستخدم فى الجلاء وفى أغراض أخرى . فخلط نوبل سحيق هذا الطفل بثلاثة أمثاله من النتروجلسرين فتشرّبه وتكوّن منها خليط ناسف أسماه «الديناميت،» كان أضعف من النتروجلسرين قوة، ولكنه كان أكثر اتزانا منه وأقل حسا بالصدمات وآمن فى النقل ، فاطمأن الناس اليه وذاع أمره فى البلاد شرقا وغربا

الا أن هذه الرخاوة فى مزاج الديناميت والهدوء فى طبعه لم تعجبا نوبل ، وساءه أن يُحصّل الأمنَ بأضاعة شدة الناسف ، ويشترى الطمأنينة ببيع شىء من قوة الانفجار ، فقام لساعته ينقّب عن مفجرّ جديد يجمع الى شدة النتروجلسرين أمن الديناميت ، ويشفع قوةَ الاول بطمأنينة الثانى ، فخرج بعد الكد والصبر والتعرض للاخطار الى مخلوق جديد أسماه « الجيلاتين الناسف » وهو مزيج من مادتين كلتاهما ناسفة ، أولاهما« النتروجلسرين » وأخراها« النتروسليولوز » وهو القطن بعد معالجته بحامض الأزوتيك ، ويتألف من خلطهما جسم كالفالوذج مظهرا ، وهو الموت والدمار مخبرا

وعالج نوبل هذا الفالوذج الجديد « بالسليولويد » أو « الطبخ » فوقع على مفجرّ جديد أسماه « باليستيت » من خواصه انه اذا انفجر لايملأ الجو بالدخان ، وهو من نوع الناسفات الشائعة فى الجيوش اليوم . وكان قد اتصل بالحكومة الانجليزية يعمل معها ، فسجلت هذه الحكومة ناسفا جديداً أسمته « كورديت » كان يشبه « الباليستيت » شبها قريبا ، فخاصمها نوبل عليه وادعاه لنفسه واتفقا معا على رفع الامر للقضاء والرضاء بما يقسم دون أن يعكر ذلك ما بينهما من صفاء ،وكانت قضية فيها تعقد وفيها ابهام ، وكان فيها للقضاة لا شك حيرة كبيرة، وأخيرا فازت الحكومة ، فغرم نوبل ثلاثين الفا من الجنيهات ، فغاظه ذلك وترك فى نفسه أعقابا

ان الناسفات اداة للدمار السريع الشامل تنزل على البلد ذى الأهل الكثير والسكن المشيد فلا تترك فيه لا أهلا ولا سكنا ،وتذهب فى ساعات أو أيام بآثار للمدنية ظل المجهود الانسانى يعمل فيه القرون ، آثار لا تقتصر على ابنية ضخمة، ومكاتب مشيدة ، ودور للتحف مليئة ، ومنشآت للصناعات وسيعة ، بل تشمل أكبر أثر وأثمن خلف ، ذلك الانسان نفسه ، تلك الجماجم البشرية التى تطيح وبها تراث الأمم وثقافات الأجيال وودائع الدهور . والناسفات كذلك

رسالة المرأة

للآنسة أسماء فهمى
درجة شرف فى الآداب

اختص الرجال بالنبوءة دون النساء، وعد الرجل ذلك الاختصاص بطبيعة الحال بابا للتفاوت بينه وبين المرأة ومبررا للتعالى عليها، ولكن المرأة وان لم تنل هذا الشرف فى الاديان السماوية فانها فى الامم الوثنية القديمة كمصر واليونان قد بلغت من تقدير الانسان حد التأليه فعبدها السنين الطوال .. وأقام لها أبدع الهيا كل واجمل التماثيل والنصب، فكانت مثلا المعبودة ايزيس التى عدها قدماء المصريين رمزا للفضائل النسوية من حنان وشجاعة وصبر ووفاء، تنافس الآلهة الآخرين بوفرة قرابينها وكثرة قاصديها . وكذلك عبد افروديت وفينوس ملايين البشر من اغريق ورومان، اذ كانتا رمزا لصفة مرغوبة فى المرأة وهى الجمال ... منبع الوحى والألهام . والعرب الذين لم يقيموا التماثيل للمرأة لافى جاهليتهم ولافى اسلامهم جعلوها حلية فى صدر قصائدهم التى لها ماللهيا كل المصرية من جلال وفخامة، وما للتماثيل الاغريقية من خلود وجمال، فجرت العادة ان يترنم الشاعر باسم المرأة فى مطلع قصيدته وإن لم يكن الموضوع موضوع غزل وهيام، وذلك اعتراف بليغ بما للمرأة من أثر فى عبقريتهم وفنهم .

والعالم الحديث يقدر مافى المرأة من قوة الوحى والألهام بطريقة لاتختلف كثيرا عن طرق الاقدمين . ففى عالم الفن مثلا تستخدم المرأة للتعبير عن العواطف السامية والمعانى الرقيقة فنرى «وات (Watt) الفنان القدير يمثل الأمل فى غادة فتانة تجلس على سطح الكرة الارضية تحت سماء لايبزغ فيها غير نجمة واحدة ترسل قبسا ضئيلا من الضوء، تحاول ان تعزف نغما على قيثارة ليس بها غير وتر واحد .. كذلك تشان يمثل الربيع بما فيه من حيوية متدفقة، وأمل باسم، وجمال فاتن فى (فلورا) الشهيرة ذات الحسن الرائع . والمثال المصرى « مختار » فى تمثال نهضة مصر، يمثل مصر الحديثة التى أخذت تلقى جانبا أغلال الخمول بفتاة قروية ممتلئة جمالا ونشاطا . ولم نذهب بعيداً فى ضرب الامثلة وبين أيدينا غلاف مجلة « الرسالة » ترى فيه المرأة حاملة شعلة الوحى والثقافة؟

على ان وحى المرأة ورسالتها لايقتصران على عالم الفن وانما يلعبان كذلك دورا خطيرا فى الحياة العملية وخصوصا فى أشد ظروف الحياة صعوبة وخطرا، فنرى المرأة تصحب الجيوش إلى ميادين القتال لالتضميد الجراح فحسب، بل لتقوية العزائم وبث روح الاستبسال والتضحية فى النفوس أيضا

ذلك هو المكان الرفيع الذى تشغله المرأة فى الحياة فضلا عن وظيفة الامومة التى تستدعى الايحاء باستمرار الى الابناء، والمرأة المصرية بصرف النظر عن وظيفتها الخاصة تحمل رسالة مزدوجة لبنات جنسها ولأبناء وطنها وهم فى فترة التطور الحرجة .

وماذا عسى ان تكون هذه الرسالة التى تضطلع باعبائها المرأة؟ إن الشهد لايصنع الامن رحيق الزهر، ونموذج الفن لايوحى الى النفس بالكمال الا اذا بلغ نهاية الاجادة .. فمن الطبيعى اذن ان تكون رسالة المرأة للمرأة هى حثها على اتباع مايجعلها اهلا للوحى والألهام بان تعمل على تجميل النفس قبل تجميل الوجه والثوب، فاذا لم تسم روح الفتاة وتعل همتها لاتصلح للقيام بمهمتها . فالفتاة العابثة المستهترة التى تكتفى بالقشور من الف صنف للتمويه والتغرير، والفتاة التى لا تعيش لمثل أعلى بل لاتخرج عن عالمها المادى المحسوس وضروريات الحياة الاولية، لايمكن ان ترتفع الى سماء الوحى لأن المادة المتغلغلة فيها تقعد بها عن النهوض والسمو .

ورسالة المرأة للرجل تنسجم مع رسالتها السالفة وتتفق مع أغراض وحيها، فتيار المادة فى نفس الرجل ونفس المرأة قد طغى وأقام حجابا بينهما وبين المثل العليا . واصبحنا فى عصر قلما يصغى فيه لوحى غير وحى المنفعة الذاتية، ونتج عن ذلك ضعف روح الاستبسال من أجل الوطن والمبدأ والعقيدة، وصرنا نفر من المقاومة اذا ابصرنا الخصم أكثر منا عددا واعظم عدة، فكأن الغرض مجرد الانتصار لاتادية الواجب واراحة الضمير بصرف النظر عن النتائج . فرسالة المرأة فى هذه الحال هى الحث على العودة الى تعاليم الفروسية، لان أهم مايفتقر اليه الرجل حقا هو تلك

ليـــلى الاخيلية

آخر منظر من حياتها

للآنسةسهير القلماوى

ليسانسييه فى الآداب

الصحراء هادئة نائمة لايحرك رمالها الا ريح خفيفة ناعمة تهب بين آونة وأخرى . والليل ساكن صاف ،والسماء سوداء قاتمة لولا نجوم تضيءهنا وهناك : واقبل المسافران يتهاديان على جمليهما، وعلى مسافة منهما سارقومهما . و كأنما كانهذان المسافران رسولى حركة وحياة لهذا السكون المهيب ،فقد هبت بقدومهما رياح عنيفة شيئا ما ، فأزعجت رمال الصحراء المستكينة الهادئة .

المسافران امرأة وزوجها ، والتفت الرجل الى المرأة و كأنما وجد فى هذه الرياح الجديدة سببا يقطع به هـذا الصمت الذى لازمهما منذ بدء رحلتهما . ولكن المرأة كانت ساهمة ذاهلة فلم يقو على الكلام ـ لقد كانت تشع منها قوة عجيبة تضطره بل تضطر كل شيء حولها الى السكون والهدوء احتراما لتفكيرها وحزنها

ورفعت المرأة رأسها فى هدوء ، واتسعت عيناها متجهتين نحو نقطة صغيرة لاحت لها فى الافق القاتم من بعيد . وظلت عيناها عالقتين بهذه النقطة وكأنما ربطتا اليها ربطا . ثم اتضحت هـذه النقطة شيئا فشيئا فاذا بها اكمة صغيرة . هذه هى الأكمة التى كانت تفكر فيها ،هذه هى الأكمةالتى كانت تحترق شوقا للوصول اليها ورنت الابيات للمرة المائة فى اذنيها بصوت عذب عميق هادىء .

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت   على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة او زقى   اليهاصدى منجانب القبرصائح

ترى ايجيب حقا ؟ لقد كان صادقا لم تعرف له كذبة قط.ولكن من سمع بميت يجيب حيا ..؟ توبة .! لقد مات .! نعم **مات فبكيته** ورثيته..أأكون حالمة ؟وهل أفيق من حلمى فوق هذه الأكمة .؟ نعم سأفيق ،سيجيبنى،ساخلص من هذا العذاب الذى يحرق اعصابى حرقا .. ولوان ليلى الاخيلية سلمت .. لسلمت تسليم البشاشة ..

ظلت ليلى تردد الابيات مفكرة وعيناها عالقتان بالاكمة التى لاحت الآن واضحة ظاهرة ،ورأى الزوج الأكمة فعبس وقال لنفسه لن تمر ليلى بهذه الأكمة حتى تصعدالى قبر توبة . وثارت فىنفسه ثورة الغيرة واخذ يتساءل ساخطا حانقا . ايمكنان يكون حب كهذا ؟لقد احبته فتاة، ولكنهتزوج غيرها وتزوجت غيره فلم يضعف هـــذا الحب، وهاهو ذا الآن قد مات ودفن وبلى جسمه ،ولكنهامازالتتحبه ، لم أقوأناعلى محو ذكره ، لم أقو انا على ملء فراغ تركه بموته ،نعم لم استطع ازاء هذا الحب شيئا..

ظل يغلى فى ثورته ،وظلت هى فى تفكيرها الحزين المؤلم ،حتى وصلا الى الأكمة ،فاتجهت اليها صاعدة ، ولكن زوجها صاح بها حانقا ثائرا ..

— ليلى ! ارجعى لن تصعدى

ولكنها اجابته بصوت حزين وكانها لم تلحظ ثورته

— اتمر ليلى بقبر توبة فلا تجيبه؟ وصاح بها ثانية !

— ليلى ! بربك لاتصعدى ،لقد مات توبة ولن تجديه تحيتك شيئا .

وصدمتها كلماته صدمة عنيفة . لقد مات توبة ولن تجديه تحيتى ! كلا كلا توبة لم يمت ! ان روحه حية،ان صوتهمازال يرن فى اذنيها ،فلوان ليلى الاخيلية سلمت لسلمت .. نعم،سيسلم على،سيجيب

الروح السامية التى اكسبت العصور الوسطى جل مالها من جلال ووقار . فقد كان الفارس يخوض المخاطر ويركب الاهوال فى سبيلعقيدته ووطنه ، وكان يضع الشرف والكرامة فوق الحياة نفسها ، ويرتبط ، بالعهدارتباطه بدينه . وليس معنى الرجوع الى ذلك العصر هو احياء تلك الفضائل فى عصرنا ،فالواقع ان تلك الصفات تسود اليوم أكثر بلاد الغرب ، وهى مصدر مايعتز به من إباء و كبرياء واستقلال وحرية

وهناك غرض آخر لاختيار ذلك العصر ،فقد كان على رغم خشونته وقسوته مدينا بالكثير من فضائله الى وحى المرأة . اذ قضت التقاليد ان يتطلع كل فارس الى سيدة شريفة يتوسم فيها العظمة والنبل ، فيعمل على كسب اعجابها بان يخوض الغمار باحثا عن المجد مدفوعا بروحها مترنما بذكرها

فاذا كانت المرأة قد قامت بمثل هذا الدور برغم انحطاط مركزها وفى عصور امتازتبقسوتها وبأن الكلمة العليا فيها كانت للسيف، فهل تعجز المرأة الراقية فىعهد الاستقرار والأمن عن ان تلهم أشبال السلموهى التى على ضعفها قـــد الهمت أسود الحرب ؟

اسماء فهمى

لم تجبه واستمرت في طريقها صاعدة ، ناداها فلم تجب ، وتوسل اليها فلم تسمع، وهددها فلم تحفل به ، ان توبة يدعوها من فوق الأكمة ولن يصدها عن دعوة توبة احد

وقفت جانب القبر خاشعة حزينة مضطربة تنصت لدقات قلبها وقد خيل اليها ان صداها يملأ السهل ، لم تكن تحس الا ان توبة هنا، فهذا قبره حيث رقد من زمن. ان روحه تملأ المكان وصورته تملأ عينيها ، وصوته يرن في اذنيها . ستناديه وسيجيب ، ولكن لم تقو على فتح فمها . . . تجلدت قليلا قليلا ثم استطاعت ان تفتح فاها ، واخيرا استطاعت ان تقول همسا:

— السلام عليك ياتوبة . !

وانصتت الأذن وظلت هكذا مرهفة، كل ما فيها يترقب، لقد احست انها معلقة من علو شاهق ستهبط منه بعد حين . ولكن الصمت طال وبدأت تعود الى نفسها رويدا ، بدأت تحس دبيبا موجعا هو دبيب اليأس . توبة لم يجب ! وأخذت شفتاها تلفظان دون أي صوت : توبة لم يجب .. ثم التفتت الى القوم وقالت في صوت يائس محزون و كأنها تحدث نفسها :

— والله ماعرفت عنه له كذبة قط قبل هذه ! ألم يقل:

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت   على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقى   اليها صدى من جانب القبر صائح

فما باله لم يسلم علي كما قال؟

وأحس الجمل بوجوم ليلى ووجوم القوم معهما فاضطرب واضطرب الهودج معه . ولكن ليلى لم تحس شيئا، لقد كانت تنتظر في ايمان صادق قوي جوابا من القبر ، ولم تستطع الحقيقة ان تقتلع هذا الايمان بعد ، فهي مازالت منتظرة ... توبة لم يسلم عليها ولكنه لن يتركها هكذا ..

وكانت الى جانب القبر بومة كامنة، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل فنفر فرمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها فدفنت الى جنبه »

ان توبة لم يكذب في حياته ، فكيف يكذب في مماته ؟

سهير القلماوي



نوبل

(بقيه المنشور على صفحة ٣٣)

اداة للخير فقد أفادت الانسان ونفعت العمارة والمدنية بتكسير الصخر وتفكيك الحجر وخرق الأنفاق وثقب الجبال وفي حفر القنوات حيث الأرض صلدة لاينفع فيها عضل السواعد . والمقدار الذي يستنفد منها في ذلك أضعاف مايستهلك في الحروب . والمنشآت الهندسية الكبرى كقناة بنما والسكة الحديدية الكبرى في امريكا الشمالية التي تصل المحيط الأطلسي بالهادى ، وبناؤها برغم الجبال العاتية التي اعترضت بناءها ، وغير ذلك من المستحدثات العالمية الخطيرة شواهد لاتنازع على ما أدت الناسفات من خدمات جليلة يرد نصيب كبير من الفضل فيها الى نوبل

استخدم نوبل في شبابه وكهولته رأس الشاب وحيلة الكهل في فك قيود عن قوى للطبيعة عاتية ، ولعله رجا ان تكون وسيلة لمغالبة الطبيعة لا مغالبة الانسان ، ثم رأى حقيقة ماصنع شيخا ، وأحس خيبة ما أمل ، فصرف اواخر أيامه في بث الدعوة الى السلام ، وتخيل فعلا للأمم نظاما أشبه شيء بجامعة الأمم الحاضرة وقد ولدت بعد وفاته بربع قرن . وكأنما أراد ان يكفر عن الخراب الذي جاء الأمم على يديه في حياته ، والخراب الذي خال ان يجيئها بما اقترف بعد مماته ، فوقف كل ماجمع من صناعة الدمار لدرء الدمار ، فللمستقبل ذكراه معجبين منه برأس العالم المحتال ، وقلب الانسان النبيل

احمد زكي

النجم أقرب

قال الصغير وقد رأى   في الليل نجما قد تلهب
أبتي ، بربك هاته   كيما أسر به وألعب
فأجبته هذا بعيـ   ـد ، ليس كل مناك يطلب
فمشى ولاحت دوننا   سيارة للأرض تنهب
روعاء تجتذب العيو   ن كأنها في الارض كوكب
فدنا وقال : إذن فمر   كبة كهذى حيث أركب
فوجمت ، ثم أجبته :   النجم يا ابني كان أقرب ! !

محمود عمار

القصص

قصة مصرية

تقالـــيد ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

لم يكن حامد قد أتم دراسته العالية حين بدأت تقوى صلته بصديقه حسين افندى ، ولم يكن الحديث بينهما كلما تقابلا يتجاوز السؤال عن الصحة والانجال ، والذكريات القريبة عن جهادهما فى صفوف الشباب الوطنيين ، ولا يذكر حامد انه زار صديقه حسينا فى منزله غير بضع مرات كان فى معظمها مريضا ، وما أكثر مايشكو المرض ! ومرة دعاه حسين افندى الى زيارة منزله فلبى ، وكانت هذه أولى زيارات متتابعة قوت بينهما رابطة الاخاء والود ، وزادت إخلاصهما تمكينا وقوة .

كانت منيرة بنت حسين افندى فتاة فارعة الجسم ، معتدلة القامة ، خمرية اللون ، فاتنة النظرة ، عذبة نغم الحديث ، تبدو فى أنوثة فاتنة نضجت فى شعاع ثمانية عشر ربيعا . ورآها حامد فاعجبه أن يتحدث اليها ، وأن تتحدث اليه ، وأن يشعر فى أثناء ذلك أنه موضع اهتمامها حين تسأله عن حياته فى القاهرة وحيدا أيام الدراسة ، وابتدأ أهل البيت يرتاحون لزيارته فى ثقة واطمئنان ، وابتدأ هو يحس الشوق كلما أخلف موعد هذه الزيارة . وصار من المألوف أن يزورهم كل يوم ، وأن يسألوا عنه كلما غاب . وانتهى الصيف وعاد حامد الى القاهرة يستقبل العام الثانى من دراسته فى كلية العلوم ، ولكنه لم يشعر بالاستقرار وهدوء البال اللذين كان يشعر بهما فى العام الماضى ، وانما كان كثير الحنين الى البلد حيث قضى أيام الصيف . أهو شعور السأم من الوحدة فى بلد تذوق كل ما حل من لذاته ، أو ملل الدارس طال به انتظار الثمرة ، والحنين الى أهله والصفوة من أصحابه فى البلد الذى نشأ فيه ؟

لم يستطع حامد أن يجيب على هذا السؤال الا بعد أيام حين وصلته رسالة من صديقه حسين ، أودعها شوقه وتحيته ، يخبره أن منيرة مريضة منذ أيام . ماكان أسرع صاحبنا حينئذ الى كتابة جواب هذه الرسالة ، على كسله وتوانيه فى كتابة الرسائل ! لم يذكر شيئا من رسالة صديقه الطويلة ذات الصفحات الاربع غير مرض منيرة ، ولم يكتب شيئا فى جوابه غير السؤال عن منيرة والاهتمام بها ، والدعاء لها ! وفى صندوق البريد ألقى الجواب ، ثم خرج منفردا فى نزهة وراح يفكر ... وبدا له أنه كان متسرعا كل التسرع ، عجلا كل العجلة ، فيما ضمن جوابه من عبارات . أى صلة بينه وبين حسين افندى تسمح له أن يهتم كل الاهتمام بابنته ، وأن يصرح بالشوق اليها ، والالم الموجع لمرضها فى كتاب لابيها وليس من التقاليد أن يتكلم الشبان عن بنات أصدقائهم بهذه اللهجة الناعمة المفتونة ؟ ولكن حامداً نفسه لم يكن يعرف لماذا كتب ذلك ، ولا كيف اندفع اليه ونسى التقاليد والادب اللائق ، أكان يحبها وهذا وحى عاطفته ودافع وجدانه ؟ ربما !

بلغته رسالة أخرى من صديقه حسين افندى ، فلم يكن بها ذكر لمنيرة أو نبأ عنها . أكان تجاهلا مقصودا ؟ وهل كان ذلك من أثر رسالته ؟ ترى ماذا كتب فيها ؟ لقد نسى كل ماجرى به قلمه ، ولم يذكر الا انها كانت رسالة تجاوز بها التقاليد التى يدين بها حسين افندى أكثر مما يحرص حامد على نبذها ...

وكأنما انقطعت عنه أخبار صاحبته منذ أمد طويل لامنذ أيام ، وابتدأت تغزو فكره مرات فى اليوم الواحد ، واوأخذ يذكر حديثها ويستعيد الكثير مما ينكره ويردده بلسانه فى لحن عذب الايقاع ، وطارت حولها أمانيه ، وعقد بها مستقبله . لقد كانت وهى بعيدة أفتن منها بين عينيه ! ولم يشغله فيما تلا ذلك من أيام الا أن يحصى كم بقى من الزمن ليعود الى هناك ...

وكثرت زياراته للبلد : زارها مرتين فى الشهر الأول ، وثلاثاً فى الشهر الثانى وكان فى كل زيارة من هذه الزيارات يجد نفسه مسوقا إلى ناحية بيت حسين افندى ، فيقضى هناك بعض الوقت قبل أن يزور أمه واخوته . ورأى فى ترحيب صاحبته به ، وسرورها بمقدمه معنى لم تنكره عيناها ، واعترفت به ضغطة يدها عند اللقاء وعند الوداع . لم تعد به حاجة لأن يسال نفسه عن سر ذلك ، فقد أيقن أنه وأنها ...

وأضمر أمراً وأسره إلى صديق ، فقد كان يفكر فى أن يختارها لنفسه زوجة ، ولكن أتراه يستطيع أن يقدم على ذلك وهو ما يزال طالباً بينه وبين رجولة الأزواج أعوام ثلاثة ؟ وماذا عليه لو خطبها إلى أبيها وطلب إليه أن ينتظر حتى يتخرج ، أتراه يقبل ذلك ويرضاه لها ؟ وكيف يبدؤه الحديث ، بل كيف يتحدث الناس فى هذا الشأن ؟ لقد مات أبوه منذ سنوات ، والأب هو الذى يستطيع أن يتحدث باسم ولده فى مثل هذه الشئون . . . ولم يطل به التفكير فى ذلك ، فقد ذاع ماحسبه سراً بينه وبين صديقه حتى وصل إلى مسمع الوالد !

(٢)

وزار البلد بعد ذلك ولكنه لم يسعد بلقاء حبيبته ، فقد حجبوها عنـــه ، وأقاموا بينه وبينها التقاليد ، أى أغلقوا دونهما الأبواب وأرخوا الستور . قد تكون أسعد منه الآن ، فهى تستطيع أن تزيح السجف لتراه كلما زارهم ، ولكنه لا يراها وليس إلى لقائها من سبيل ! وابتدأ الدور الثانى من أعراض الحب ، وعصف الشوق بقلبه ، وعبث بلبـــه ، وسيطر على ذات نفسه . وانصرم العـام لا يذكر أنه رآها فى خلاله أو استمتع بها غير نظرات كحسو الطير، ما كان أفرحه باجازة الصيف ! لقد كان يظن أنه يستطيع فى إبانه أن يصل ما انقطع من لذاته باللقاء — عهده الأول — ولكن ما كان أبعد أمانيه . . . ! وضاقت نفسه بما نجد ، وأحس الشوق يفرى كبده ، والحسرة تشوى قلبه . وانقضى الصيف ، وعاد إلى القاهرة لم يتزود بتسليمة مشتاق أو نظرة وداع ، وحسب أنه هناك يستطيع أن ينشد السلوة ويلتمس العزاء فى جوها الصاخب ، فقضى أيامه الاولى بها على شر مايقضيها العاشق . ولكن شأناً خاصاً دعا صاحبته أن تزور القاهرة وقتئذ ، وتنزل فى ضيافة بعض ذوى قرباها هناك ، فتجدد الامل عنده ، وأحس كأنما نسيم القاهرة أصبح ندياً عبقاً بعد إذ كان ناراً حامية يصلاها بعيداً عن الاهل والأحباب . . . وكان من حظه أن لم تجىء معها التقاليد فتلاقيا غير مرة ، وخرجا للنزهة مرات ، فلم يتركا بين منازه القاهرة موضعاً لم يشهداه على حبهما ، ثم عادت إلى البلد وخلفت له الشوق والحنين ، وكلما لج به هواه وألح عليه الشوق أنس فى وحدته بذكرى تلك الأيام القليلة ، أو خرج يلتمس العزاء هناك . . . حيث كانا يجلسان ، لعله يسمع فى همس النسيم صدى ما كانا يتناجيان ، أو يستوحى عيون الزهر سر ما استودعاه لديها من عهود المـاضى ، ويتسمع فى خرير المـاء رسالة ضلت الطريق إليه ، أو يتفيأ فى ظلال الخمائل مجلساً طالمـا بسط لها ذراعيه وضم . هيهات ! لقد صمت النسيم إلا حنين المهجور ، وجف الزهر إلا عبرة الآسى ، وخرس المـاء إلا بكاء الواجد ، وسكن الشجر إلا هزة الشيخ حطمته السنون . ليته لم يلقها بعد إذ أيأسه منها ذلك البعد الطويل ، لقد كان من يأسه فى راحة ! . . . كيف تمر الايام على الغريب أوحشت نفسه وانقطع ما بينه وبين الناس ؟ إنه ليخيل إليه أن الزمن عبء ثقيل على كتفيه يجاهد للخلاص منه ولو بالخلاص من الحياة ، وكلما عاد بنظره إلى الخلف عجب كيف استطاع أن يقطع كل ذلك المـــاضى وكيف انصرمت أيامه والحمل لم يخف عن كتفيه ، ولم يزل بينه وبين الخلاص أمد لا يمتد النظر الى نهايته ؟

الآن لم يبق بينه وبين الحصول على اجازة كلية العلوم غير عام واحد يستطيع بعده ان يتقدم فى ثقة بنفسه واطمئنان إلى مستقبله ليخطبها إلى أبيها ، ولكنه حسب إن هو تعجل الحديث فى هـذا الشأن تفتحت أمامه الابواب ، وانزاحت الحجب ، وانكشفت الستور ، واستطاع أن يظفر بلقاء (خطيبته) على عين أهلها وأن يتحدث اليها بينهم . واغتنم فرصة سانحة ، وما هى إلا أن استجمع شجاعته ، فانطلق يحدث أباها ، وأبوها ينصت اليه فى هدوء . لاشك أنه كان ينتظر أن يسمع هذا الحديث منذ زمن طويل ، وأنه هيأ فى خياله صورة هذا المجلس من قبل ، فلم يلبثا أن تصافحا فى حرارة وعزم ، وقلباهما مفعمان بالسرور ، وعلى أساريرهما بشر ناطق .

منذ ذلك اليوم أصبح حامد خطيب منيرة ، وإن لم تتناقل الافواه هذا الخبر لانهما حاولا أن يبقياه سرا بينهما حتى يحين يوم إعلانه . وأحس حامد بعض إحساس الملكية لشىء فى هذا البيت الذى كان الناس يرونه كثير التردد عليه ، ويدفعهم الفضول الى البحث عن دواعيه . ولكن لم يتغير شىء مما ألفه حامد ونقم عليه وحاول الخلاص منه من قبل ، فلا هو استطاع أن يرى خطيبته أو يتحدث اليها ، أو يسأل عنها سؤال الشخص عمن يهمه ، لقد زاد الحجاب بينهما ، وزاد التكلف ، وبدأ حديث حسين افندى عن بعض شؤونه الخاصة فيه بعض الحذر وبعض التأنق ، وهو مالم يكن معهودا بينهما من قبل ، وأصبح صاحبنا حامد يخجل أن يبدو منه بعض الاهتمام بشأن منيرة ، حتى ليتحاشى أن ينطق باسمها ، كأنه يحس فى اختلاج شفتيه عندئذ لهفة مشتاق ، وفى نبرات صوته رنين قبلة مكتومة ، واذا نطق به مرة ففى مثل مناجاة الحالم أو اقرار الخاطىء . ولم يكن حامد ليسره ذلك أو ترتاح اليه نفسه ، لقد كان يريد

بتعجيل الخطبة أن يكون أقرب اتصالا بصاحبته فاذا هو أبعد مما كان ، ولقد صرح عن رغبته مرة أو مرتين فكان اعتذار حسين افندى مضحكا حين نسب الى ابنته الخجل والتأبى على ذلك فكأنما تأبى شيئا ترضاه ، لقد كان حامد يريد أن يستوثق من حب صاحبته وثباتها على العهد قبل أن يسافر الى القاهرة ، ولعله كان يريد أن يتزود من حبها بما يقوى عزمه على المضى فى جهاده المدرسى مرحلته الاخيرة . عجيب ! لقد كان الى قريب يستطيع أن يراها وان يبادلها الحديث ولو بابتسامة أو إيماءة على بعد ، ولم يكن غير ذلك الشخص الذى يزورهم كثيرا لأنه صديق ابيها ، حتى إذا ارتبطا بعهد وثيق على أن تكون زوجته ، وان يكون أقرب الناس اليها — حيل بينهما وضوعفت الحجب والستور ! تقاليد ؟ لو أنه لم يكن قد رآها من قبل ولم يجلس اليها يتحدثان الساعات ، ويمتد تعارفهما السنين — لكان من حق التقاليد أن تسيطر على عواطفهما وتملى إرادتها ! تقاليد ؟ إن الجهل بعض تقاليد الماضى . . . إن الموتى لايملكون ان يتصرفوا فى شؤون الأحياء !

ولم تنقطع زياراته ، ولكنها كانت زيارات جافة مملولة ، لقد كان يذهب الى هناك كل يوم ، لايكاد يرى فى الطريق من يحييه ، لانه لايرى غير صورة واحدة يبتكرها خياله لتصحبه الى هناك ، وحين يعود ، ماكان أتعسه ! هو آدم ، ولكنه هبط من الجنة قبل أن يذوق الثمرة ، على وجهه علائم الخيبة واليأس والسخط والتبرم بكل شىء ، ولكنه كان يذهب كل يوم . . . !

(٣)

وأحس حامد وخزا أليما بين جنبيه حين علم ان التقاليد المعكوسة لاتجعلها تحتجب عن غيره من شبان الاسرة ، وحين سمع صوتها تتحدث الى واحد منهم فى الغرفة المجاورة ، لم يحرم عليه مايحل لغيره ؟ ألأنها خطيبته ؟ لقد كان ذلك أجدر ان يرفع بينهما الحجاب ؟ وابتدأت الغيرة تدب فى صدره . أليست تخرج من المنزل قليلا أو كثيراً لمثل مايخرج له الفتيات من لداتها زائرة أو متفرجة ؟ أليست تسير فى الطريق ينتهب من حسنها كل ذى عينين ، ويستمتع بمرآها كل من أسعده الحظ ان تلتقى بها عيناه ؟ بحسبه مثل متاع هؤلاء : نظرة عابرة ، أو نهلة عارضة ، ولكنهم يسعدون بمايتمناه وهو به أحق ومنه محروم ! !

أى معنى لهذه التقاليد إلا ان يكون من مثل تصرف الأم مع صغارها إذ تمنع عنهم الطعام حرصا على صحتهم ، أو حرصا على الطعام . . ! ولكن الأم لاتمنع أولادها الطعام إلى ان يشفى بهم الجوع على الهلاك ، ولاهى تمنعه لتطعمه قطط الحى وكلابه ، ليس قريبها الذى فتحت له الباب ورفعت الحجاب ووقفت تحدثه جديرا بهذه الوقفة على مرمى نظراتها الفاتنة ، ومن دون خطيبها الذى يتلهف شوقا أليه أبواب موصدة وحجب مضاعفة ، لماذا لم تمتنع عليه قبل أن يهمس القدر فى أذنه بأمنية الزواج منها ؟ ليته رضى ان يبقى صديق الأسرة زمنا آخر فلم يخطبها ولم يجر حديث الزواج على لسانه ، إذن لبقى كما كان — مأمون الجانب — لاتدق أجراس الحذر لمقدمه ، ولا تغلق دونه الابواب ! ولايعرف التقاليد ولاتعرفه . . .

ولم يطل بحامد مجلسه فى غرفة الاستقبال بعد ، فخرج مغضبا وفى عزمه ألا يعود ! ولكنه عاد بعد أيام . . ومادام بين جنبيه قلبه الواهى فلن يستطيع ان يدبر أمرا أو يحكم خطة .

ومرت أيام ، ومحا جديد الشوق ماضى الغضب ، وجلس مع أبيها يتحدثان فى غرفة على الردهة لاتحتجب من يمر قبالتها ، ودق باب البيت ، و فتحت الخادم ، وقام أبوها فأوصد باب الغرفة ، لقد كانت آتية من زيارة إحدى قريباتها ، فابت التقاليد إلا أن يقوم أبوها فيغلق الباب دونهما حتى تمر ، وماذا يكون لو رآها كما يراها آلاف الناس فى الطريق ؟ بل كما يراها ذلك الشاب الذى جاء يشيعها إلى دارها ؟ وماذا لو كان هو الذى يصحبها ذاهبة لبعض شانها أو عائدة ؟ تقاليد ؟ لتسحق هذه التقاليد قبل ان تسحقه ، إن كان لابد ان يكون أحدهما ضحية . لقد كانت تذهب إلى السينما فاى حرج فى ان يكون بجوارها هناك ، وهى حين تجلس فى مقعدها وترفع النقاب عن وجهها لاتبالى من يجلسون بجوارها ، وفيهم الفتيان وفيهم الكهول . وعادت الغيرة تاكل قلبه ، وتوقد النار فى صدره ، وجاهر بغضبه ، وعادت تمتمة الاعتذار . وأبوا عليها ان تسافر فى موعد خاص حددوه لها من قبل ، لأن صاحبنا كان قد حدد هو أيضا ذلك الموعد نفسه لسفره ، وماذا لوعدوه رجلا ككل الرجال الذين تقدر كل مسافرة ان تراهم يرافقونها فى القطار ؟ وأخلفت موعدها وسافرت وحدها ، وسافر وحده ، حذر ان يراها أو يجلس إليها ، كما يراها ويجلس إليها كل الناس !

وقدر حامد أنه لايستطيع أن يصبر طويلا على ذلك البعد الغيور ، ورأى أن يتعجل أمره حتى إذا ظفر بزوجه استطاع

بأن يقف من هذه التقاليد موقفا آخر ، ولكن التقاليد أشارت بسبابتها مرة أخرى ووقفت تعترض الطريق ؛ لقد كان هناك بعض أمور لها فى رأى رجال الماضى شأن واعتبار تأبى هذا التعجيل ، وخضع صاحبنا للأمر مرة أخرى ووقف ينتظر والنار تأكله ، والتقاليد تعذبه ...

ترى كيف حالها فى إسارها بين هؤلاء الذين يحصون عليها النظرة والابتسامة ، وهى المشبوبة العاطفة الدقيقة الحس ، التى يعلم أنها لا تصبر عن لقائه أكثر مما يصبر ؟ لقد استطاعا مرة أو مرتين أن يتلاقيا على غير رقبة ، وعلى غير موعد أيضا ، فلما نمت عيناها بمكنون قلبها وافتضح السر لديهم ، كان سؤال فيه إعنات ، وجواب فيه حرج ، فلم يشفع لها غير الدموع !

لقد مر بعد ذلك سنتان أو يزيد ، وموقف صاحبنا لم يتغير ، وتأبى التقاليد أن تتزحزح من موقفها لتفسح الطريق لزوجين يريدان أن يتمتعا بسعادة العيش قبل فوات الشباب ، وشعر أن فؤاده يهرم ، وأن ذلك الحب الذى كان يعمر قلبه ابتدأ يتحول إلى ذكرى حزينة يائسة ، وطيوف الماضى الجميل التى كانت ترف ناضرة أمام عينيه ـ تذوى وتتعرى من فتنة الحياة ، والمستقبل الباسم الذى صوره لنفسه من أطياف الأمل تطمس رواءه آلام الحاضر العابس ، ويئس ، وقنع من غرامه الأول والأخير بالذكرى يستعيدها ليعيش فيها لحظات ، لقد كان يكره التقاليد لأنها صورة الماضى البالية ، ولكنه عاد لا يؤمن إلا بالماضى ، ولا يرضى أن يعيش إلا فيه ... !

(٤)

أراد أن يروض نفسه على السلوان ، وأن يدفن ذلك الماضى فى أعماق النسيان ، ولكن نارا بين ضلوعه كانت تشعل هذه الذكرى كلما هم أن يطفئها ، وقلبا بين جنبيه كان لا يفتر ينبض ، وريشة فى الخيال تمحو صورا وتبعث صورا .

أيقن أن سلطان التقاليد أقوى من سلطانه ، فكيف يحتال على هذه التقاليد حتى تسلس له قيادها ، ويملى فيها إرادته ؟ لو كان يدرى متى تأذن له أن يخلص خطيبته إليه لاستطاع أن يحمل نفسه على الصبر ، ولكنها تؤجل دائما إلى الغد ، والغد لا يتحقق .

لقد رأى أختها أمس ؛ نهض صدرها ، وتحير فى خديها ماء الشباب ؛ لقد أصبحت هى أيضا عروسا ، أصبحت تنتظر نظرتها ... ولو فتش فيها وراء هاتين العينين لظهر من خلفهما فى مرآة الأمل ـ الزوج الذى أبدعت تخيله وأجادت رسمه ..

وخطر له خاطر : لو أن شابا تقدم غدا الى حسين افندى يطلب يد (سعاد) ورأى فيه ما يحمله على قبوله ، فماذا يكون من أمره ؟ ستأبى التقاليد ولا شك ـ أن يزوجها قبل زفاف أختها ، وأنه لحريص على التقاليد ، وسيأبى عليه أيضا بر الوالد أن يفلت منه هذا الخاطب . وجه التدبير إذن أن يعمل على تعجيل أمر حامد ومنيرة ليخلى الطريق لسعاد ، فينتهى من تقاليد ليبدأ تقاليد غيرها ...

ياله من أمل! إذن لاستطاع حامد أن يتغلب على التقاليد بالتقاليد نفسها، بل ان يملى عليها إرادته ويهزأ بها كما أملت عليه إرادتها من قبل هازئة جبارة . !

***

ومرت أيام ، وتلتها أيام ... وفجأة وقعت المعجزة وكان، وقعها سعيدا ، لقد تقدم الخاطب الوجيه يطلب يد سعاد .

كيف تقدم .. ؟ من أين تقدم .. ؟ من يدرى .. ؟

وابتدأت التقاليد دورتها فى فلك جديد ، ترمى إلى هدف آخر ، أما حامد افندى فقد هدأت نفسه ، وتفيأ ظل الطمأنينة . لقد ظفر بأمنية الحياة ... !

ولكن .. هل تزوجت سعاد بهذا الخاطب ..؟

محمد سعيد العريان

العلوم

مجلة علمية ، أدبية ، اقتصادية تصدر مؤقتا مرة فى الشهر

يسرنا أن نرحب بصحيفة راقية جديدة . يحررها نخبة من رجال العلم الأفاضل ويحاولون فيها أن يقربوا المسائل العلمية الدقيقة الى اذهان القراء غير الأخصائيين .

ذلك هو الغرض الذى ترمى اليه (العلوم) التى صدر منها العدد الأول فى الشهر الماضى ، ولا يتسع المقام هنا للاشارة الى ما تضمنه من بحوث سهلة قيمة ، ولكن اذا كان لنا أن نسترشد بهذا العدد للحكم على ما سيأتى بعده ، فاننا لا نشك فى أن حضرات المحررين الأفاضل قد وفقوا الى تحقيق غرضهم والى خدمة القارىء المتعطش للثقافة العلمية دون أن يكون لديه الوقت ولا الوسائل التى تمكنه من دراستها دراسة عميقة .

ونحن نرجو أن تلقى هذه الصحيفة النافعة من القراء ما تستحقه من التشجيع

الكتب

الأعاصير

نظم الشاعر القروى رشيد سليم الخورى

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال عمى الكريم عبد الرحمن عزام: قد أهدى الى من وراء البحار ديوان اسمه الأعاصير فاحسست فى كل حرف منه ناراً، وفى كل بيت أعصاراً، وذكرت قصائد المتنبى الذى يقول فيها

مدحت قوما وإن عشنا نظمت لهم … قصائدا من إناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة … اذا تنوشدن لم يدخلن فى أذن

قلت: فأعرنيه لأقرأه. قال: على شرط أن تكتب عنه فى الرسالة، قلت: إن وجدته جديراً بالكتابة.

قرأت الديوان كله فاذا قلب ثائر، ونفس طامحة، ماست عليها العربية فكرها واحساسها فليس بها الا الفخر بماضى العرب، والأنفة من حاضر العرب، والرجاء فى مستقبل العرب، واذا الكتاب كاسمه أعاصير ثارت فى البرازيل، وانطلقت كقصائد المتنبى

اذا سرن عن مقولى مرة … وثبن الجبال وخضن البحارا

حتى وافت بلاد العرب تذكى فى خمودها ناراً، وتنفث فى كل نفس أعصاراً،

تتبع الشاعر احداث حوران ودمشق وفلسطين، فاشاد بذكر أبطالها، ونعى على من خذلوهم، وخص أهل لبنان قومه، بأوفى نصيب من لومه، وهو فى شعره كله عربى لا يفرق بين دين ودين وقوم وآخرين، بل هو على مسيحيته يعتز بالعرب المسلمين ويعجب بمفاخرهم. ويعذل المسيحيين على أن لم يساهموا اخوانهم فى الثورة على الباطل، والاستجابة لدعوة الوطن

والشعر جملته معمود بالمعانى الجيدة. حال بالاسلوب السهل المتين

ولا أطيل على القارىء وصفى، ولكن أدع الشاعر يعرب عن آلامه وآماله، وضع على غلاف الديوان سبعة أبيات منها:

الهى رد مالك من أياد … على وطنى ورد لها الأيادا
خلعت على رباه الحسن فذا … والبست القطين به الحدادا
شبول الأرز بات الحلم عجزاً … وبعض الصبر موت إن تمادى
فكونوا النار تحرق أو قذى فى … عيون البطل ان كنتم رمادا

وأهدى الكتاب الى شهداء الوطنيين فى بيتين

يارفاتا تحت الرمال دفينا … مبعدا عاطل الرموس نسيا
لك أهدى هذا الكتاب لأنى … لم أجد فى البلاد غيرك حيا

ويقول فى قصيدته (بطل الصحراء) التى لقاها فى حفلة لإعانة أبطال المجاهدين، والخطاب لسلطان باشا الاطرش

ياشريدا عن البلاد طريدا … انت فى كل معبد من بلادك
كل مافى أقلامنا من مضاء … مستمد من مرهفات حدادك
كل مافى صدورنا من لهيب … هو أضرام ورية من زنادك
كل ما فى هتافنا من دوى … هو ترجيع نبضة من فؤادك
كل مافى آثارنا من خلود … هو تاريخ ساعة من جهادك
أيها المنجد المحاويج عار … أن تصم الأسماع عن امدادك
لو فرشنا لك الجفون مهادا … وجعلنا الأهداب حشو وسادك
ماجزيناك ساعة من ليال … بت عنا على حراب سهادك
كل حر فداك يافادى الشا … م وأولاده فدى أولادك

وفى قصيدته التى يصف فيها هجوم سلطان باشا على الدبابة الفرنسية وقتل من فيها:

وثبت الى سنام التنك وثبا … عجيبا علم النسر الوقوعا
وكهربت البطاح بحد عضب … بهرت به العدا فهووا ركوعا
كأن به إلى الافرنج جوعا … وسيفك مثل ضيفك لن يجوعا
تكفل للثرى بالخصب لما … هفا برقا فأمطره نجيعا
وفجر للدماء بهم عيونا … تجارى من عيونهم الدموعا
فخر الجند فوق التنك صرعى … وخر التنك تحتهم صريعا

ومن قصيدته التى عنوانها (الاستقلال حق لا هبة) يصف فيها مجاهدى حوارن:

ولئن نسيت فلست أنسى بينهم … رجل الرجال وفارس الفرسان
فكأنهم منه مكان قناته … وكأنه منهم مكان سنان
يرمى بهم قلب الوطيس كانهم … حمم الحمام قذفن من بركان
يفنى الرجال باحدب ومقوم … ضدين فى اللبات يلتقيان
ويكاد يفترس العدو جواده … فكأنه أسد على سرحان

وفى عيد استقلال لبنان:

تروى بدجلة مدمعى وفراته … ياموطنا لم يبق غير رفاته
خلت المحافل من بلابله فلا … تقع العيون على سوى حشراته
حسب الحزين عليك أنك مائت … قد عيدت أحبابه لمماته

شقوا له الأعلام من أكفانه — وتبادلوا الأنخاب من عبراته
أعلام إذلال كأن خفوقها — فى جوه لطم على وجناته
ملفوحة بحسرات سراته — خفاقة بتنهدات هداته

ومن قوله فى لوم قومه:

رضينا للتعصب أن نهونا — فأغمضنا على الضيم العيونا
نقول المسلمون المسلمونا — فنرميهم ونحن الخائنونا
نبيع بدرهم مجد البلاد

فتى حوران لا لاقيت ضرا — لأنت أحق أهل الشام فخرا
لئن لم يؤتك الرحمن نصرا — لحسبك أن غضبت ومت حرا
ولم تسلس لقيد أو قياد

بربك قل متى لبنان ثارا ؟ — ليدرك من علوج الغرب ثارا
متى نفرت الى السيف النصارى — لتغسل بالدم المسفوك عارا
وتحرز مرة شرف الجهاد

ويقول بعنوان «صيحة الجهاد»

ولو لم تكونى فرنجية — لكنت سعادى قبل سعاد
ولكننى عربى المنى — عربى الهوى عربى الفؤاد
لعمرك «يامود(١)» لولا ذووك — لما ميز الحب بين العباد
ولا أكرهوا شاعرا أن يقـ — ـول لهذى البلاد وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور — وهم اضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلى شاعرا زاهدا — وكم هام بالحب فى كل واد
فأنى حرام على هواك — وفى وطنى صيحة للجهاد

ويقول فى حفلة عيد الفطر التى أقامتها الجمعية الخيرية الأسلامية بالبرازيل :

اكرم هذا العيد تكريم شاعر — يتيه بآيات النبى المعظم
ولكننى أصبو الى عيد أمة — محررة الأعناق من رق أعجمى
إلى علم من نسج عيسى وأحمد — و «آمنة» فى ظله أخت «مريم»
هبونى عيداً يجعل العرب أمة — وسيروا بجثمانى على دين برهم !
فقد مزقت هذى المذاهب شملنا — وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا — وأهلا وسهلا بعده بجهنم !

وفى قصيدة الأطرش والدبابة :

اذا حاولت رفع الضيم فاضرب — بسيف محمد وأهجر يسوعا
«أحبوا بعضكم» بعضا وعظنا — بها ذئبا فما نجت قطيعا

وبعد فللشاعر القروى «رشيد سليم الخورى» الثناء والأعجاب من العرب والعربية، والتحية من كل نفس حرة، وقلب بالمعالى خفاق ؟

عبد الوهاب عزام

(١) فتاة انجليزية تحببت الى الشاعر

الاساليب

(بقية المنشور على صفحة ٦)

يقدم نحو الصواب أو يؤخر . تكون مسألة بحثهم تاريخية أو ادبية أو هبها علمية بحتة قد تولوا درسها على اساس لهم فى ذلك فانتهوا الى نتيجة ما ، فهم لا يشتغلون بتقريرها وتأييدها ، وتقوية مواضع الضعف فيها ، على ما تتطلبه امانة البحث ، ويقضى به نظام الأخصاء والتفرد ، بل يدعون ذلك الى الاشتغال بأن ما تقره ناحية اخرى أو باحث آخر ليس إلا تضليلا مثلا ، أوهو خداع أو ما أشبه ؛ وهذه الناحية وذاك الباحث قد عرض للموضوع بغير طريقتهم وعلى غير أساسهم ، ويزيد النار تأججا ان يكون الموضوع مما للعقيدة مثلا به صلة ؛ فنحن نعرف ان الوشائج متصلة بين الدين والفن ، وبين الدين والعلم فى اشياء كثيرة ؛ فالأنبياء والرسل مثلا من حق التاريخ ، والقرآن من متناول الأدب والتاريخ، فلا جدوى على الحقيقة مطلقا فى ان ينتهى باحث فى مثل هذه الاشياء الى رأى استقرائى أو حكم تاريخى فيكون همه تأكيد ان غيره من كلام الدينيين خداع أو اتجار أو نحو ذلك مما يعزز حكما ولا يدعم رأيا ؛ بل لا ينفى عنه مظاهر ضعفه على حين يثير المعتقدين فى غير طائل ؛ ويفقد الحقيقة فرص الظهور والاتضاح . ولو قرر مايقرر من ذلك فى أسلوب سليم وبحث مستقيم ثم لوح ملوح بمخالفة ذلك للدين ، لوجب عندى ان يترك لاهل الدين أمر التوفيق أو التأويل ؛ أو مالهم مخلص لحمل كل عبثه

ولو رؤى وصل الناحيتين لابد مع التزام حدود التخصص ، والاحترام الحقيقى للحرية العقلية للزم السعى اولا الى رجال الدين بهذه الشبهة يسألون كشفها ويكلفون دفعها ، فعليهم فى ذلك واجبهم يحسنونه او يحرجون بعجزهم ، ويمضى العالم او المؤرخ أو الاديب وقد سلم له أنصاره ووقته وبحثه لا يخسر فى ذلك شيئا على غير جدوى ، ولا يثير المخالفة عاقلة قد تكشف له عن نقص فى رأيه أو تثبت صحته حين تتهاوى السبة عنه

تلك اساليب بحث وضروب تفكير لها خطرها فى تمزيق وحدة الشبان وأفساد الجيل ، وقطع أواصر التآلف النفسى والتمازج الروحى قطعاً يعوق التعاون الاجتماعى الذى يتطلبه الوطن ملحا من هذا الجيل ، فليست الخسارة من وراء اختلاف تلك الاساليب عقلية فحسب ، ولا فنية فحسب ، ولا خلقية فحسب ، ولا اجتماعية فحسب ، بل هى كل أولئك مجتمعة ، وما أهولها!!

وفى مصر أساليب أخرى فكرية أفردها بمقال آخر؟

أمين الخولى

الاستاذ

محمد عبد الوهاب

الموسيقار الكبير

فى فلم

غنائى

الوردة البيضاء

ناطق

احسن الافلام المصرية التى اخرجت الى اليوم

لحن اغانيه ووضع موسيقاه وقام بالدور الاول فيه

مطربكم المحبوب الاستاذ محمد عبد الوهاب ومنشدكم الساحر

اخراج الاستاذ محمد كريم

يشترك فى التمثيل الانسه سميره خلوصى والسيده دولت ابيض
والاساتذة محمد عبد القدوس وسليمان نجيب وزكى رستم
وتوفيق المردنلى

يعرض ابتداء من الاثنين ٤ ديسمبر بدار

سينما رويال


شركة مصر لغزل ونسج القطن
بالمحلة الكبرى

طبعت بمطبعة سكر بشارع محمد على وشارع نخرى بالموسكى بمصر تليفون ٥٢٤٠٣